قطف الازهار

في

اهم حوادث الامصار

(الجزء الاول)

لواضعه

« الياس الايوبي »

(الطبعة الاولى سنة ١٩١٣)

ثمن الجزء ٥ غروش صاغ

(و يطلب من المطبعة الشرقية)

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف وصاحبي المطبعة »

طبع بالمطبعة الشرقية : لصاحبيها نقولا والياس سابا : بالاسكندرية

932
الى
ق

قطف الأزهار

— في —

اهم حوادث الامصار

(الجزء الاول)

لواضعه

« الياس الايوبي

(الطبعة الاولى سنة ١٩١٣)

طبع بالمطبعة الشرقية بالاسكندرية لصاحبيها نقولا والياس سابا

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف وصاحبي المطبعة)

هدية الكتاب

أهدي كتابي هذا الى المفكرين من ابناء الامة المصرية الذين يتخذون من نور عقولهم شعلة يوقدون بها نار عواطفهم . ولا يجعلون دخان عواطفهم يعمي بصيرة قلوبهم . وارجو له على ايديهم حياة قد تكون حياة لمصر

تاريخ قدماء المصريين

« من ابتداء تأسيس الفرعونية المصرية »

(الى ضياع استقلال مصر السياسي نهائياً سنة ٣٤٠ ق. م)

الباب الاول

﴿ الفصل الاول ﴾

« نبذة في المصريين واحوالهم »

« الاجتماعية والدينية والعلمية والصناعية والادارية »

ان الروايات عن اصل قدماء المصريين كثيرة ومتضاربة . فمؤرخو القدم ذهب معظمهم الى ان المصريين من جنس افريقي استوطن الحبشة في بادىء امره ثم نزح منها الى البحر متبعاً مجرى النيل . وانما حدا بهم الى التمسك بهذا القول ما شاهدوه من اوجه الشبه بين نظامات القطرين الخاصة بالعادات والشرائع والاحوال الاجتماعية والكتابات والمعتقدات وملابس الكهنة والملوك الخ . وبجهلهم بالكتابات الهيروغليفية اخذوا حقيقة مسلمة الثبوت مزاعم الاحباش التي قصدوا بها ان يثبتوا ان مصر انما هي مستعمرة من مستعمراتهم ولكن العلم الحديث المبني على معرفة حل الرموز

الهيروغليفية قد اثبت ان الحبشة لم تستعمر مصر ، ليس فقط بل انها هي نفسها قد استعمرها المصريون في عهد الاسرة الثانية عشرة وان المدنية لم تنحدر اذاً مع مجرى النيل بل صعدته

كذلك اثبت هذا العلم الحديث بعد ابحاث اللجنة الفرنساوية العلمية التي رافقت الحملة الفرنساوية البونبرتية على مصر في اواخر القرن الثامن عشر وبعد مباحث العلماء الاُجيتولوجيين الذين قاموا على اثر اكتشاف شمبوليون سر الكتابة المصرية القديمة ينقبون في المعاهد العتيقة وينبشون الارض المصرية ليستخرجوا من بين طياتها صحف الماضي الضائعة — ان المصريين قد يرجعون باصولهم الى الجنس (البروتوسامي) الاسيوي وانهم اتوا مصر عن طريق برزخ السويس فوجدوا في البلاد جنساً اسود ما زالوا يطاردونه جنوباً حتى ابلغوه النوبة والسودان

مهما يكن من الامر — وسواء كان المصريون من سلالة حامية او سامية — فأجداد المصريين القدماء الضائع ذكرهم في ليل الازمنة السابقة للعهد التاريخي قد تمكنوا من

طبع جنسهم بطابع مخصوص تعبت الدهور التالية سدى في ازالته او تغييره · لان فلاح اليوم بالرغم عن امتزاج دماء جميع الامم الغريبة التي فتحت ارضه او استوطنت فيها بدمه لا يزال يحافظ في مجموع ملامحه وتقاطيع جسمه على ذلك الطابع الاصلي · فهو كاجداده مرتفع القامة نحيل الجسم · رشيقه · عريض الاكتاف · ممتلئها · بارز الصدر · ذراعاه عضلتان ومنتهيتان بيد نحيلة طويلة · خاصرته قليلة الاستدارة وساقه قليلة اللحم · عضلة · وعظمة الركبة فيها ضخمة · قدماه طويلتان نحيفتان ومسطوحتان عند طرفهما بتأثير الحفاء رأسه لكبر حجمه قليل التناسب مع باقي جسمه · والطيبة بادية على ملامحه مع شيء من الكآبة الشعرية · جبهته مربعة قليلة الارتفاع وانفه قصير ومستدير · عيناه كبيرتان ومفتوحتان فتحة واسعة ووجنتاه مستديرتان · شفتاه ثخينتان لا تدلي فيهما وفمه المائل الى الوسع تنبعث منه ابتسامة استسلام تؤلم رائيها ·

والطابع الادبي الذي طبع به اولئك القدماء جنسهم

اكثر ثباتاً في مجموعه من الطابع المادي عينه . ويكفي معرفة اخلاق فلاحي اليوم معرفة تامة للوقوف على الكثير القديم الداخل في تكوينها . وعلى القليل الطارىء عليها الذي ادخلته في تركيبها الفتوحات الاجنبية

فان كان مصريو القدم كالشعوب الهندية يحترمون الحياة البشرية احتراماً فائقاً بخلاف شعوب آسيا الغربية كالعرب واليهود والاشوريين والفينيقيين ويعظمون الشيخوخة ويوقرونها ويكبرن شأنها وشأن العمل وصنع الخير اكثر من مصريي اليوم . فانهم كانوا من جهة اخرى شديدي الغرام بالمزاح والتنكيت كمصريي العصر الحالي . سريعي الرد . كثيري الجذل مثلهم . ينظرون الى الحياة كانها اشعة شمس كلها بالرغم عن دوام استعدادهم للموت . اقل الاشياء يبسط صدورهم الى امد بعيد وينسيهم الهموم والكروب ومتاعب الدنيا . فكانوا خفيفي الروح جداً . سهلي الائتلاف لطفاء المعشر للغاية . وهذه كلها صفات ظاهرة فيما تركوه لنا من اثار في فني الحفر والرسم الذين برعا فيهما

براعة قلما ادركتها امة اخرى. ولا تزال ظاهرة لنا في اخلاق مصريي اليوم . وكانوا كثيري الفضائل المنزلية العائلية لانهم كانوا اكبر الامم احتراماً للزوجة .والام. ولا فضائل عائلية حيث لا يوجد هذا الاحترام . فالزوجة الشرعية وهي عندهم الاخت في غالب الاحيان كانت واحدة فقط مساوية للرجل في جميع الحقوق المدنية. وكانت الوراثة عن طريق البنت البكر واربط الروابط ما اتى عن طريق الام . فابو الام كان اقرب الى اولادها من ذات ابيهم وكان الاولاد يعلمون ان اعظم الفضائل هي احترام الوالدة لذلك كانوا يشبون وهم يكادون يعبدون امهاتهم عبادة ولا ينقصون شيئاً من تعظيمهم لها مهما طعنوا في السن او اشتعلت رؤوسهم شيباً . ومع ان التسري كان مباحاً للرجال الا ان السراري لم يكن لهنَّ عند سيدهن حق مطلقاً وكن بصفة امات له ولزوجه ليس الا . فان التراخي في العلائق والواجبات الزوجية كان مستهجناً جداً تحظره الشرائع والآداب العمومية ويؤاخذ المرء عليه بعد موته

مؤاخذة دقيقة · وكان الزواج واجباً مرغباً فيه · وكان الرجال عاملين دائماً بوصية احد ملوك الاسرة الخامسة القائل : « اذا كنت عاقلاً فاعتن ببيتك · احبب امرأتك · اكرمها · اعتن بجسمها · تمم رغائبها ما دمت حياً فانها نعمة كبرى تزدان بها بيوتنا » :

وحب المصريين لازواجهم واكرامهم لمن الاكرام الفائق واحترام الرجل المصري للمرأة على الاطلاق كل ذلك حال دون وجود مصيبة النفور من المنزل وتفكك عرى الاسرات بينهم · وهي مصيبة يئن تحت عبئها الثقيل معظم الامم الشرقية لغاية يومنا هذا · والى خصال المصريين الحميدة هذه يرجع الفضل في كثير من الاعمال العظيمة التي جعلوا ذكراها واثارها وتأثيرها الشديد في التاريخ من اهم تراث الجنس البشري بعدهم · فكان مصريو القدم يميلون كل الميل الى صرف اوقات فراغهم مع عائلاتهم · يتلذذون بتربية اولادهم بنفوسهم واذا كانوا من الاغنياء قضوا معظم نهارهم في البساتين المحيطة بيوتهم النامي فيها التين والنخل والجميز

والكرمة جالسين هم وزوجاتهم حول بركة واسعة تسبح فيها الاسماك والاوز يتنعمون معاً بالمعيشة الخلوية الطبيعية المغرمة نفوسهم كلهم بها

على ان مصريي القدم كمصريي اليوم كانوا كثيري التدين كثيري العبادة . يكاد الدين يكون مسيطراً على جميع اعمالهم اليومية . وبما ان شدة الخضوع للعوامل الدينية باستسلام تضعف حتماً القوى العقلية الباحثة فان مصريي القدم كمصري اليوم كانوا كثيري الانقياد الى البدع والترهات والخرافات . يعتقدون بالسحر والشبشبة والتنجيم . يدرأون القدر ووقوب عين الحاسد بتمتمات وتعزيمات وخرز واحجبة وتخميسات كالتي نشاهدها الى يومنا هذا في بعض مدن القطر لا سيما في الاسكندرية . ويمهدون لانفسهم سبيل الخلود السعيد في دار النعيم الابدي بهبات للمعابد واوقاف على الهياكل والزوايا والمقامات الدينية الاخرى لذلك كانت الارض المصرية القديمة كالارض المصرية الحديثة موقوفاً اكثر من ثلثها على المعاهد الدينية والمعابد والهياكل

اما الدين المصري القديم فالمعروف عن اسراره قليل والمروي عن خرافاته كثير للغاية ومعظم ما يروى عنها ينافي ما اشتهر عنه المصريون الاقدمون من العقل الراجح والبصيرة الوقادة الى درجة ان تصديقه اصبح متعذراً ٠

على انه يمكننا ان نقول جازمين ان المصريين كانوا يعبدون الهاً واحداً تحت اسماء متنوعة اشهرها : آمون ٠ را ٠ بتاه ٠ وربما كانوا اول من فكر من امم الشرق الادنى في ايجاد عقيدة التثليث الرائجة في الشرق الاقصى وفي الغرب الحالي الآن ٠

ولكن الشعب — وهو في جميع البلدان جاهل على السواء — انتهى به الامر ان خلط في المسألة خلطاً كبيراً وظن ان كل اسم يعني الهاً على حدة ٠ فتعددت المعبودات لديه مع الايام ثم تنوعت واختلط حابلها بنابلها بفضل ذات الكهنة وارباب الدين المكلفين بالمحافظة عليه ٠

فجعل اله للشمس « را » و « امون » و « اطون » ٠ واله للنيل « اوزيرس » واله للارض « ازيس » واله للفلاحة « ابيس »

واله الموت والحساب « طوط » وهلمّ جرا وجعل لكل من هذه الالهة تاريخ هو اشبه شيء بالقصة القصد منه ادخال تعليم ادبي الى الاذهان والقلوب باسلوب لطيف .

فروي عن « هورس » مثلاً وهو اله الخير . ان اله الشر اضطهده وطارده فاضطر الى الدخول في جسم عجل لينجو بنفسه منه . ثم أُحرق ومات . واجتاز البحيرة الكائنة في سبيل الابدية ودفن في « ابيدس » . ولكنه ما لبث حتى قام من بين الاموات وصعد الى مجده السماوي ومحق عدوّه محقاً . فاتخذ المصريون قصته موضوعاً لعدة روايات تمثيلية كانوا يشخصون فيها حياته وموته على شاكلة تشخيص « الاسرار » في اوروبا في الاعصر الوسطى . واخذوا يعظمون « العجل » على العموم الذي حل « هورس » في جسمه . ويعتقدون ان حياة « هورس » وموته يجب ان يكونا مثالاً ونموذجاً لحياتهم وموتهم . فكما ان « هورس » اجتاز البحيرة في سبيل الابدية اخذوا هم يفدون بموتاهم على بحيرات احتفروها في طريق الجبانات . لا يجتازونها بهم الا بعد

ان يحا كموهم على اثنتين وار بعين خطيئة وتظهر براءتهم منها ٠ كما ظهرت براءة « هورس » مما نسبه خصمه اليه من الآثام ٠ وكما ان « هورس » انما تمكن من العودة الى مجده بما اتاه من حسنات وهو منفي من السماء هكذا اعتقد المصريون. « ان ما بعد الموت » متعلق « بما قبل الموت » ٠ فمن يفعل في حياته مقدار ذرة شراً يره بعد موته ٠ ومن يفعل مقدار ذرة خيراً يره كذلك ٠ ولكن اعداء كثيرين ينتظرونه في طريقه الى النعيم كما انتظر اعوان اله الشر « هورس » فيها فيلزمه اذاً ان يتحصن ضدهم وهو لا يزال على قيد الحياة بكتابات وتعويذات وطلاسم وسحر بديع تكون « كتاب الموتى » من مجموعها كلها ٠ وان تنقش تلك التعويذات والطلاسم على كفنه الذي يدرج به في قبره ثم يوضع ذلك الكتاب معه فيه ليتمكن بها وبه من التغلب على اولئك الاعداء ٠ هكذا علم الكهنة ٠ فراجت الترهات وكثر السحرة والعرافون والدجالون وكثر الضحك على العقول لأكل الاكتاف ٠ وانفتح باب النصب واسعاً ٠ فالف الكهنة كتاب « جغرافيا

ما وراء الحياة » اوضحوا فيه الطريقين اللذين زعموا انهما مفتوحان امام المسافر في تلك العوالم و بينوا العقوبات التي تعترضهما والتي يجب على المرء التغلب عليها بواسطة علومهم فمن تغلب عليها دعي « فائزاً » وهي كلمة مرادفة للفظة « المرحوم » عندنا . لا تطلق الا على من مات وهو مؤمن وفهموا العامة والخاصة ان . يا لسعادة من يتاح له الدفن في مقبرة « ابيدس » حيث دفن « هورس » . فقدس المدينة برمتها بقبره ؟ وكان اولئك الكهنة يورونه للناس وهم عالمون حق العلم بانه انما هو قبر « زر » احد فراعنة الاسرة الاولى . فصار المصريون يتهافتون تهافتاً على اقتناء ارض هناك لاقامة قبورهم فيها فراجت بذلك امور الكهنة وعظم شأنهم واثروا اثراء كبيراً وبات الكهنوت موضع الاحترام والرهبة لا سيما بعد ان اتحدت كلمته تحت رئاسة خبر « امون » الاعظم في طيبة وكثرت الصلوات السحرية واقبل الكهنة على بيع غفرانات وبرآآت من الاثام للناس مقابل شيء من النقود . كما فعل بعد ذلك بالوف

من السنين رؤساء دين الكثلكة فاثاروا الاصلاح الديني الذي قام به « لوثر » . فلما راجت الخرافات وكثرت الترهات وُجد من احب ان يقرب فكر الالوهية الخيالي الى الافهام . فرسم « اوزيرس » اله النيل على شكل شيخ وقور تتدفق من بين يديه المياه فتحيي موات الاطيان ورسم « ابيس » اله الفلاحة على شكل ثور يفلح الحقول فيجعلها تنبت خيراتها . ولكن ايدي الدهور تداولت تلك الرسوم وقلبت حقيقة رموزها في اذهان العامة . فزادت الطين بلة والخبال خبالاً . فضاع الخيال الشعري الاصلي وبقيت المادة التي قام عليها . فرجح في العقول الغبية والعقول تصدأ بطبيعة الحال وتتغابى ان لم تعود العمل والبحث — ان في النيل شيخاً هو الهه ان لم يرضه المصريون امتنع عن درّ خيراته عليهم . وبما ان لا شيء يرضي مسدي الجميل اكثر من التسبيح بحمده وشكره اناء الليل واطراف النهار بلسان فصيح ولهجة مخلصة نظم المصريون اجمل اناشيدهم واغانيهم في تعظيم النيل وشكره وتعطير ذكر

عطاياه . وقد زعم بعضهم ولكن الزعم غير ثابت ولا شيء في الاثار المصرية يؤيده — ان المصريين ظنوا ان خير ما يرضون به اله النيل الشيخ انما هو ان يقدموا له صبية بهية الجمال ليقترن بها عاماً فعاماً. فقرروا تلك الضحية البشرية سنوياً الى ان ابطلها عمر بن خطاب رضي الله عنه . ولا يبعد ان الصبية انما كانت في الحقيقة من طين وجريد . وانه كان يقام لتزويجها من اله النيل احتفال كاحتفال مدينة البندقية بتزويجها من بحر الادرياتيك

ورجح في العقول الغبية عينها ان العجل المرموز به الى «ابيس» اله الفلاحة هو «ابيس» بذاته . فاتخذ العجل معبوداً لا سيما وان عليه قوام الحراثة وانه من صالح المصريين المحافظة عليه وتعظيمه كل التعظيم . فسهل بذلك اتخاذ غيره من الحيوانات المفيدة والضارة المهمة اما تعظيماً لفضلها او اتقاء لشرها . وانحطت على هذا النمط مدارك القوم العبادية بفعل شدة انصرافهم الى ذات العبادة لا سيما انهم كانوا يعظمون الموتى و يعتقدون بخلود الارواح

و بلوغها الى النعيم الابدي او الى الشقاء الدائم بعد تنقلها في اجسام حية متنوعة تطهر فيها من ادرانها او تزداد فيها اثاماً ويكون مجرد دخولها في جسم حيوان معلوم بدء التطهر او عقاباً لسيئة سبقت · فسهل عليهم بذلك الاعتقاد بامكان وجود روح عزيز عليهم في جسم حيوان يرونه كما حلت روح « هورس » في جسم عجل · فأخذوا يجلون الحيوانات ويحترمونها لتعظيمهم موتاهم واحترامهم اياهم · وهكذا كثيراً ما يقود شعور حميد الى عاقبة وخيمة عندما يكون قياد الشعور في يد عقل غير راجح · على ان انصراف هوى الشعب الى الدين وتعظيم شأنه كان له اثر حسن للغاية في الصنائع والفنون والمعارف المصرية · فانك تراها متجلية على الاخص في المعابد التي شيدوها والتي لا تزال اثارها الى يومنا هذا تملأ الشاخص اليها دهشة ساحقة تكاد تكون رهبة عميقة · لا سيما في معبد الكرنك بالقرب من « طيبة » القديمة — الاقصر — المعتبر عند العارفين انه اوسع بناء ديني واجمل قصر شيده الزمن القديم

والعقيدة الدينية هي التي جعلت المصريين يتفننون في اتقان حفظ جثث موتاهم من الفناء . لانهم اول الشعوب التي قالت بقيامة الموتى واعتقدت في اليوم الآخر . فأحبوا ان تجد ارواح موتاهم لدى عودتها الاخيرة الاجساد التي كانت ساكنة فيها . فخنطوا هذه الاجساد تحنيطاً محكماً لا يزال سره غامضاً علينا . وجعلوا مقابرهم افخر من مدن سواهم من الامم من جميع الوجوه . اذا ما دخلتها بهرك زخرفها وكأنك بالرسومات قد خرجت منذ ساعة فقط من يد الرسام . واذا كنت ممن يفقهون حل الرموز الهيروغليفية تلقنت من تلك الرسومات درساً تاريخياً مفيداً للغاية . لانك ترى فيها اهم حوادث حياة الميت . واهم عادات ومجاري الحياة المصرية الاجتماعية القديمة منقوشة على جدران الميت حتى تقر بها عين روحه فيما لو حدث ووقع في خلدها المجيء لزيارة جسدها المحنط بين تنقلاتها من جسم الى جسم او وهي في دائرة الهواء . وقد كانت الرسومات خير مرشد لعلماء التاريخ المصري الي معرفة مكنونات قرون رقدت

في ظل ابي الهول وحفظت مثله سرها · وخير نبراس استضاؤا به في مباحثهم الشاقة المفيدة · ونعم المعوان على استخراج تاريخ مصر من اثارها · على ان تفوق قدماء المصريين لم يكن على السواء في جميع العلوم والفنون فانهم اذا كانوا قطعوا شوطاً بعيداً في العلوم الهندسية والبنائية المحتاج اليها المرء في حياته الاجتماعية · ونبغوا نبوغاً لا مثيل له في النقش والحفر وفي تطبيق الرسم المعماري على الارض وفي الهندسة الميكانيكية المطلوبة لاعمال الري ورفع الاثقال وكانوا قد عرفوا شيئاً من الكيمياء ساعدهم على استنباط الاجزاء اللازمة لفن تحنيطهم العجيب وعرفوا كيف يصنعون الزجاج وكيف يستفيدون من البردي النامي على ضفاف نيلهم لا للكتابة فقط بل لصنع مادة نسيجية مهمة ولعمل مراكب واسعة واحذية وحصر منه · فانهم من جهة لعدم اهتدائهم الى احرف هجائية بسيطة قليلة العدد لم يتمكنوا من التوسع في الكتابة والتأليف الا بعد مضي عدة قرون عندما توفقوا الى الكتابة

« اليراتيكية » الشبيهة بعض الشبه بالقبطيه الحديثة والتي نسبتها الى الهيروغليفية نسبة كتابتنا اليومية. الى الأحرف الطباعية . واضطرارهم كصينيي اليوم. الى رسم الكلام رسماً بدلاً من كتابته كتابة اضاع عليهم وقتاً ثميناً . ومن جهة اخرى فان تمسكهم بالموروث عن الاجداد تمسكاً شديداً واعجابهم به الى درجة عد اقصى ما يمكن العقل البلوغ اليه جعلهم يكتفون بما حصله السلف ولا يجدون في انماء المعلومات التي تركها الاقدمون لهم . لذلك نرى ان معلومات مصريي الاسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين لم تتخط الحد الذي بلغت اليه معلومات مصريي فراعنة الاهرام . ومن جهة ثالثة فان محافظتهم على مراسم دينهم واوضاعه واستمساكهم فيما بعد بالترهات التي ادخلتها القرون على عقائدهم والخرافات التي اندست فيها كل ذلك حال دون نهوض روح البحث في عقولهم — وهي الروح التي يرجع اليها الفضل في كل ما بلغ اليه العلم الحديث الغربي من التغلب على اسرار

الطبيعة واستجلاء غوامضها · فلم يلتفتوا الى العلوم الطبيعية والى التعرف بالعالم الخارجي الا بقدر حاجتهم المادية الى ذلك التعارف وتلك العلوم ولم يخطر في فكرهم ابداً الاقدام على البحث عن الحقيقة لمجرد معرفتها وعلى العلم لمجرد التعلم · بل كان اقبالهم عليه ليتمكنوا به من سد الحاجات الحيوية اليومية ·

فلم تكن مدارسهم تخرج في مجموعها سوى كتبة للدوائر والاستخدام · وكانت الكتابة اساس التعليم فيها لانها كانت كلها عبارة عن رسومات كما قدمنا يحتاج الانسان الى وقت كبير لاتقانها وكانت بعض المواعظ الحسنة اساس التربية الادبية في تلك المدارس ·

فكان التلامذة يتقنون جيداً القواعد الحسابية البسيطة المطلوبة للاشغال اليومية ويجدون بعض الصعوبة في حساب الكسور وفي المسائل الجبرية الابتدائية ولكنهم ينبغون في المبادىء الهندسية اللازمة لفن المعمار وفي المبادىء الجغرافية المتعلقة بكيفية ايجاد جهات الافق الاربع وفروعها

نبوغاً جعل « مصر » أُم الهندسة المعمارية العمودية ولا نزال نشاهده في وضع قواعد الهرم الاكبر . ويتعلمون الاصول التجارية الاولية من مسك دفاتر وتحرير اذونات ووصولات وعقود رسمية ووصيات الخ .

ولم يبرع المصريون في الطب بالرغم عن اقبالهم عليه منذ اول نشأتهم وذلك لان تشريح الموتى كان يعتبر لديهم اثماً عظيماً فظيعاً . فاقتصروا على الاختبارات الطبية الناجحة المبنية على تبصر دقيق . فكانت الوصفات التي يصفونها لمرضاهم معقولة في الغالب ومفيدة . ولكن بعض اطبائهم كانوا لا يحجمون احياناً عن صرف تذاكر خرافية كتذكرة شرب محلول شعر عجل اسود لمنع الشيب . والبعض الآخر لجهلهم حقيقة تركيب الاجسام كانوا يلجأون في علاجاتهم الى السحر وضرب الرمل وهما فنان اختصت بهما طائفة من ارباب الدين وبرعت فيهما براعة لا يزال صداها داوياً في التوراة والقرآن الشريف . واصبحت استاذة لهذين البابين من النصب والتدليس حتى في ايام

الجمهورية والامبراطورية الرومانيتين ·

واما علماء الفلك المصريون فانهم كانوا اناساً على غير شاكلة هؤلاء النصابين · نعم انهم جهلوا نظام الافلاك السماوية بصفتها انها جميعها اجزاء كل واحد وجهلوا حركات الافلاك وتجاذبها ولم يكن يمكن ان يخطر لهم في بالٍ البحث في هذه الامور او السعي لاماطة لثام السر عنها لاعتبارهم اياها غير جديرة بالعناء اذ لا فائدة مادية تنجم عنها يمكن انتظارها من وراء معرفتها · ولكنهم تمكنوا من التمييز بين النجوم الثوابت والسيارات · وقسموا القبة الزرقاء الى مجموعات نجوم ممتازة عن بعضها · ثم توصلوا قبل عهد « منيس » بثلاثة عشر قرناً الى تحديد دائرة السنة الشمسية تقريباً · وهو امر يوجب لهم الفخر على ممر الدهور اكثر من فتوحاتهم الكبيرة التالية · لان تحديد دائرة السنة الشمسية يتوقف عليه انتظام الزراعة والفلاحة وبالتالي جميع الامور المعيشية · فهم بذلك قد سبقوا امم الارض قاطبة وفي ايام لا يدري التاريخ عنها شيئاً — لانها سابقة لبزوغ

بجره — وافادوا كل العوالم . ولسنا ندري ما الذي حدا باحفادهم البعيدين الى اهمال اكتشاف اجدادهم هذا المجيد للتمسك باهداب السنة القمرية التي لا فائدة منها على الاطلاق بل يوجب العمل بها رسمياً وزراعياً القاء الخلل في دائرة عموم الحياة الاجتماعية . على ان المدارس المصرية القديمة ان لم تكن تخرج « في مجموعها » سوى كتبة الدوائر والاستخدام . لم تحل دون نبوغ الطلبة الاذكياء في ميادين الانشاء البديع والفصاحة . فمنذ عهد الاسرة الثانية عشرة اخذت المؤلفات الادبية تروج في البلاد رواجاً عظيماً متخذة في الغالب المظهر الروائي القصصي او مظهر المحاورة . وقد دون النبيل « سنيوها » الفار من مصر عند موت امينمحهت الاول عندما عاد في اخريات ايامه الى اوطانه العزيزة مروياته عما حدث له من الوقائع في منفاه على شكل روائي جميل جعل كتابه جديراً بان يوضع في القبور الى جانب الميت ليتسلى به في وحدة الرمس وعزلته .

وتناقلت الايدي كتيب حكاية الفلاح الفصيح

الذي ضربه موظف كبير فدخل معه في محاورة لطيفة دافع فيها عن حاله دفاعاً بلغ من جماله ان ذلك الموظف عينه اقتاده الى اقدام عرش فرعون ليتلذذ الملك بكلامه العسلي · وكتيب حكاية الاخين التي احبت فيها امرأة كبيرهما صغيرهما وجرى لهما من الحوادث ما يشابه قصة يوسف عليه السلام مع فوتيفار العزيز وزير فرعون · وحفظت ايضاً حكاية ذلك السندباد المصري الذي قذفت به الامواج الى جزيرة ملكة الافاعي · فوقع له فيها من الخوارق ما لا شك كان حاضراً في ذهن مؤلف حكايات « السندباد البحري » عندما روى رحلات هذا البغدادي الغريبة في كتاب « الف ليلة وليلة » ·

وارتسمت على اذهان عموم الراغبين في العلوم الفلسفية المناقشة التي دارت بين الرجل وروحه واقنع الاول الثانية فيها بان جميع اشياء هذا العالم وخيراته فانية فارغة لا قيمة لها وبان الواجب اذاً يقضي بالسعي والبحث عما هو خير منها وابقي في دار الآخرة ·

واثرت في الاذهان والقلوب تأثيراً شديداً النبوءة الشعرية المنذرة بصروف الدهور وتغير الاحوال وسوء المصير والتي كانت فيما بعد نموذجاً لما نسج على منوالها من النبوآت عند الامم الاخرى لا سيما للكتب السيبلينية الرومانية واليهودية المتاخرة ٠

اما الشعر الحقيقي فقد تجلى خير تجلٍ في ترانيم المصريين الدينية وفي قصائدهم الثنائية لا سيما القصائد التي مدح فيها اوزرتسن الثالث وطتميس الثالث ورمسيس الثاني وغيرهم من كبار الفراعنة وعلى الاخص في الروايات التمثيلية التي وضعت لتشخيص حوادث حياة « هورس » وموته ٠ ولكن الغريب في جميع ذلك هوان اسماء مؤلفي هذه العجائب الادبية قد ضاعت ودرسها الدهر كما درس اسماء مشاهير المهندسين والنحاتين والرسامين الذين حفظوا لنا في مصنوعات ايديهم الحياة المصرية في ايامهم النائية وعرفتنا تلك المصنوعات حقيقة وجهة معقوليتهم ٠ فنحن نعرف الآن بمجرد اطلاعنا على بدائع ايديهم الدائمة الى الابد

ان حفاري مصر ونقاشيها كانوا يتوخون الحقيقة الحيوية في مصنوعاتهم . فلم يكونوا ليفهموا الجمال الخيالي ولم يكونوا ليذوقوا سوى الجمال الظاهري فعلاً في الطبيعة . فهم كانوا اذا رسموا او نقشوا او حفروا لم يتركوا قيادة يدهم للتصور بل للبصر ولا يخرجون الاشياء كما هي عندما تكون في طيات المخيلة بل كانوا يخرجونها كما هي في الواقع شأن الصياغ بخلاف الكتاب والموسيقيين فانهم كانوا يتوخون الخيال والجمال من حيث هو اوقع في النفوس لا من حيث ان له وجودًا وقعيًا

على ان الموسيقى لم تبلغ عندهم شأوا بعيدًا واقتصروا منها في الغناء على الترانيم الدينية والغرامية . وفي ايام الفتوحات على القصائد الحماسية واقتصروا في آلات الطرب على العود والناي والربابتين الكبيرة والصغيرة والطبل والصنوج

وقد ساعدت حياة المصريين الاجتماعية الادارية على تقدم الفنون والعلوم بين ايديهم بسرعة وعلى بلوغها الى درجة الاتقان . فانهم كانوا شعبًا يرأسهم ملك من بينهم

عزيز عليهم كبير الاحترام في اعينهم لا يخالفون له امراً ولا يرضى هولهم في غالب الاحيان سوى ما يضمن لهم نصيباً وافراً من العز والسؤدد والسعادة فكانوا يجتهدون في حفظ ذكره وملاحه اجتهاده هو في نيل رضاهم · وقد كان قطرهم ينقسم الى عشرين قسماً ادارياً في مدة الدولة الاولى اصلها كلها امارات قديمة مستقلة يحكمها حاكم حكماً ادارياً قضائياً مالياً كان كل قسم منها مملكة صغيرة مستقلة تشبه الولايات الامريكية المتحدة في يومنا هذا · وكانت رابطة الوحدة بين تلك الاقسام وبعضها جباية الاموال ومصلحة الري والمساحة ثم القضاء الاعلى وقد كان رئيس الادارة العامة المسئول عنها رأساً امام فرعون هو الوزير الاكبر ولم تكن تعطى هذه الوظيفة السامية في مدة الاسرة الرابعة الا لولي العهد ليتدرب وهو فيها على الحكم المزمع ان تأول اليه ازمته ·

فكان الوزير الاكبر — او الصدر الاعظم في اصطلاح ايامنا هذه — هو اكبر المهندسين وامين الدفترخانة العامة ·

واشهر من تقلد هذا المنصب السامي من غير اولاد الملوك الوزراء « ام هوطب » و« كي جم ني » و « بتاه هوطب » والثلاثة من اعاظم حكماء الدولة القديمة ٠

وكون كل قسم له ادارة تامة مستقلة في الشؤون الداخلية مع وجود جندية خاصة له وعدم وجود جيش عام موحد ترجع وظائف الامارة فيه الى مركز واحد سهل الطريق لنزوع الحكام الى الاستقلال في عهد من كانوا يستضعفونه من الفراعنة وجعل وقوع الخلل والفوضى في البلاد امراً يسيراً للغاية وكثير الحدوث ٠

غير ان تلك الاقسام الادارية اضحى نصيبها من الوجود على تعاقب الايام نصيب مراكزنا المصرية الحالية تارة توسع دائرتها وتارة تضيق وطوراً ينقل مجلس الحكم فيها من بندر الى بندر او يقسم ذات المركز الى قسمين ٠ هكذا بات عدد الاقسام الادارية في مدة « الدولة الجديدة » اكبر بكثير منه في ايام الدولتين القديمة والوسطى فبلغ اربعة واربعين وأكثر: منها سبعة وعشرون ما بين اسيوط

والشلال والباقي ما بين اسيوط والبحر · اما المدن الكثيرة فكان لها حكام خصيصون بها يشبهون محافظي اليوم · وبما ان حكام الاقاليم في عهد الدولة الاولى كانوا كبار النبلاء وكان النبلاء اذ ذاك سادة الشعب اعتادت الامة النظر باجلال وتعظيم الى كبار حكامها · ولكن الثورات والحروب الاهلية والخارجية ذهبت بالهيأة النبيلة القديمة او بمعظمها فاصبح كبار الموظفين هم كبار النبلاء وحلت الثروة محل كرامة المحتد وكما ان النبل كان له فيما مضى دائرة خاصة به كدوائر كبرائنا الحديثة هكذا اصبح لكل حاكم دائرة خاصة تدير شؤون امواله

فكانما بالنبلاء اذاً في باديء الامر وبكبار الحكام فيما بعد كانوا هيئة ممتازة تحيط بالعرش الفرعوني احاطة الهالة بالقمر تستمد نورها من فرعون اولاً ثم من نفسها وتقتسم الارض المصرية معه ومع الكهنة

وكانما بالامة المصرية في عصورها الاولى تشبه تمام الشبه الامم الاوروبية في الاعصر الوسطى · اي انها كانت

مثلهن منقسمة الى ثلاث هيئات . هيئة النبلاء . وهيئة الكهنوت . وهيئة العامة . تمتاز هيئتاها الاوليان بالاستئثار بجميع المزايا والنعم وتمتاز الهيئة الثالثة باختصاصها بجميع البلايا والنقم . تفلح الارض بلا اجرة ولا شكر وتباع معها وتسخر للعمل وللخدمة العسكرية . « والسخرة للعمل رافقت حياة المصريين في جميع اطوار تاريخهم سواء في ذلك عندما كانوا امة قوية فاتحة او امة مقهورة مذلولة . ولم يبطلها نهائيًا الا الحكم الحالي » . و يؤخذ منها المستخدمون فيربيهم اسيادهم صغارًا في روح الامانة والتحيز لهم . وتقسم الى طوائف طوائف يحتم على الفروع فيها عدم الاحتراف بغير حرفة الاصول فالنجارون نجارون هم ونسلهم الى الابد . وهكذا النحاتون والنقاشون والبناؤن والاسكافيون وباقي ارباب الصنائع والحرف الاخرى . وتمتاز بيوت العامة والفلاحين عن بيوت النبلاء والكبراء والكهنة بأنها مبنية من طين كما هي بيوت العزب والكفور في مصر الحالية واثاثاتها حقيرة كاثاثات هذه . وبأن اكواخ الفعلة

عبارة عن صف احجار متلاصقة · لها كلها سقف واحد · مما كان يساعد على تراخي الاخلاق · بينا ان منازل النبلاء والكبراء والكهنة كانت مبنية من لبن مجفف في الشمس. على مساحات من الارض واسعة بالنسبة لمساحات منازل الفقراء · فأن بيت « چي ثن » احد كبراء نبلاء الاسرة الثالثة شغل مسطحاً قدره « ٣٣٠ » ثلاثمائة وثلاثين قدماً مربعاً · وكان لتلك البيوت شبابيك جميلة الصنع بمشربيات تغطيها سدول ملونة لدرء الزوابع — وذات قصور الفراعنة كانت مبنية على هذا الشكل من البناء الخفيف بالرغم عن شدة تحصينها · لذلك اندثرت المدن المصرية القديمة بسهولة ولم يبق منها سوى اكوام خراباتها ما عدا هياكلها ومقابرها الحجرية البناء

واهم مفروشات بيوت اصحاب الثروة كانت اسرة وكراسي واطئة من التي يعرفها الاتراك باسم « اسكمله » وصناديق ابنوس بديعة الصنع مطعمة بالعاج وابسطة ثقيلة تغطي بها الارض وتفضل السيدات التربع عليها فوق طراحات

كطراحات اليوم ولم يكونوا يعرفون الأخونة ولذلك كانوا يعملون قوائم من خشب او نحار نظيف مطلي بالطلاء الجميل لوضع الاواني عليها ·

فكانت اذن اسباب الراحة متوفرة في منازل الاغنياء وكانوا يميلون كل الميل الى ملذات المائدة · فيكثرون من تنويع اطعمتهم ومشروبهم ويتفننون في ذلك تفنناً غريباً بحيث كان الطهي المصري في قديم الزمان مشهوراً عند الشعوب المجاورة شهرة الطهي الفرنساوي في ايامنا هذه ولم يكونوا يحرمون ذات امواتهم من تلك الاطعمة والمشروبات · فكانوا يضعون لهم في قبورهم « ١٠ » اصناف من اللحم و« ٥ » من الطيور و« ١٦ » من الخبز والكعك و« ٦ » من النبيذ و« ٤ » من الجعة « البيرة » و« ١١ » من الفاكهة وحلويات كثيرة متنوعة ولكنهم لم يكونوا يميلون الى اللباس الفاخر بل كانت ملابسهم في غاية البساطة وهي عبارة عن جلابية من التيل الابيض تصل لغاية الركبة او لغاية نمانة الساق وعليها حزام يختلف ثمنه

باختلاف درجة لابسه · وكانوا يحلقون رؤوسهم ويلبسون عليها شعراً مستعاراً على نوعين احدهما لكل يوم وكان قصيراً متجعداً · والآخر للايام المعدودة وكان ذا جدائل طويلة مفروقة في الوسط شبيهة بالتي كان يلبسها النبلاء في اوروبا في قرن لويس السادس عشر · وكانوا يضعون في اعناقهم قلادة مرصعة بالحجارة الكريمة تتدلى منها لغاية نصف صدورهم نياشين الافتخار والمداليات المستعملة في ايامهم · او الجعرانات ذوات المزايا الطلسمية الغريبة ويمسكون في ايديهم عصا طويلة علامة للسيادة ·

وكانت السيدات يتدثرن بجلابية من تيل ضيقة شبيهة بما يدعوه الافرنج (Baignoire) بينوار و(Entravé) انتراقيه لا اكمام لها تلف جسمهن من النحر الى الكعب ويربطها بالقامة شريطان يمران تحت الابطين وفوق الكتفين ويجتمعان على الصدر في نقطة تقابل نقطة اجتماعهما على الظهر ويتقلدن طوقاً مرصعاً وقلائد من اللؤلؤ او الذهب المصوغ حول اجيادهن ويحلين

باسواعدهن باسورة من فضة اذا كنّ من الغنيات جداً ومن ذهب اذا كانت ثروة ازواجهن معتدلة . لان الفضة كانت اثمن من الذهب في مصر القديمة لندورتها . وكنّ كذلك يلبسن شعراً مستعاراً طويل الجدائل جداً وكان الكل الى الحفا اميل منهم الى الاحتذاء رجالاً ونساءً .

واما الفلاحون فكانوا لا يلبسون الا جلبابات زرقاء ينزعونها ساعة العمل رجالاً ونساءً ولا يبقون على اجسامهم سوى ما يغطون به عوراتهم . واما اطفالهم فكانوا في اغلب الاحيان عراة . وكانت الفلاحة اثاث الثروة العمومية . ولكن الماشيه والطيور والاسماك كانت من اهم مصادر الاثراء الفردية كما ان المحاجر الغرانيتيه في الشلال الاول وجبل السلسلة ومحاجر محطة « الحمامات » ومحاجر المرمر في هنطوب — وراء العمارنة — والجير قبال منفيس ومناجم النحاس في سينا والذهب في النوبة وفي السلسلة الغربية في وادي القواخير . وتجارة البنت « اليمن » المحتكرة للعرش كانت مع ايراد الضرائب «المدفوعة غلالاً » اهم موارد

الخزينة العمومية وكان فن الفلاحة يتناول ايضاً الاشجار ٠ ولكنها كانت قليلة في مصر القديمة قلتها في مصر الحديثة واهمها النخيل والجميز والسرو والتمارسك والاكاسياء ٠ ومع ان الخشب كان بالتالي نادراً وغالياً « والخشب الثمين المصنوعة منه نواويس الموتى كخشب الارز يجلب من لبنان وسوريا » كان بناء المراكب مستمراً في المرافئ المصرية وتصطنع السفن فيها على انواع مختلفة وفي غاية الدقة ٠ منها الحربية في ايام دول الفتح ومنها التجارية ٠ ويرفرف عليها كلها العلم المصري وهو عبارة عن قرص شمس يمتد منه جناحان واحد الى اليمين وواحد الى الشمال ويحيط به صل اشارة الى اتساع السلطان ودوامه الى الابد

ولم تكن الصناعة معتنى بها اقل من الفلاحة ٠ فالانية الحجرية كانت في غاية الاتقان واكثر منها اتقاناً الآنية الفخارية وكان دبغ الجلود وشغلها من اهم المعروف في العالم ٠ اما الغزل فحدث عنه ولا حرج اذ كانت نساء الفلاحين هن الغازلات والناسجات ٠

على ان مظاهر الحياة الاجتماعية التي ذكرناها لم تكن هي هي في جميع ادوار تاريخ مصر القديمة بل انها تعدلت وتحورت اولاً في عصر الدولة الوسطى ، ثم في عصر الدولة الجديدة • اما في مدة الدولة الوسطى فان القطر كان في مبدأها منقسما الى جملة ولايات او امارات تكاد تكون مستقلة عن بعضها يمثل الامير فيها الفرعون عينه بشكل مصغر • فكان هو جابي الاموال ومورِدها الى الخزينة العمومية وكاهن الدين • وقائد الجيش الاقطاعي وقاضي الامارة • وكان ملكه نوعين : ملكا وراثيا اتاه عن طريق اجداده وملكا اهابيا يحتاج فيه الى فرمان من فرعون ليثبته فيه • هكذا يحتاج «خديو» مصر الآن الى فرمان سلطاني يقره على عرش الخديوية ولكنه يمتلك بحق الارث الاطيان والعقارات المخلفة له عن ابيه : والفرمان الفرعوني الذي كان يقر امير المقاطعة على ملكه الاهابي كان خير وسيلة يتخذها المتبوع لتقرير نفوذه على تابعه • ولاقامة معتمد له عنده يراقب حركاته وسكناته لا سيما ان جزأ كبيرا

من ملك الامير الاهابي كان ملكاً حقيقية لفرعون ·

ثم ان كثرة المستخدمين في ايام الدولة الوسطى اوجب نهوض فئة من الناس دون النبلاء في المرتبة وفوق العامة التعيسة عرفت بالطبقة الملكية اثرت من الخدمة والتجارة واصبح كل يعمل لها حساباً لا سيما بعد انتظام مصلحة التعداد وظهور نمو هذه الفئة الرابعة نمواً سريعاً · فاتخذ منها اول حرس فرعوني ووضع منها في الحصون المتعددة التي انشئت في طول البلاد وعرضها حاميات لا يتجاوز عدد الواحدة منها المائة رجل كان امير المقاطعة يقود الواقع منها في دائرة مقاطعته الى ساحات الوغى

وتفوق هذه الفئة ظاهر في قبورها ونعلم من الكتابات الموجودة فيها ان وظائف الحكومة كانت قد اصبحت في يدها وراثية كلها يتقلدها الابناء بعد ابائهم · كما كانت الحال في مصر ايام اسماعيل وسعيد وعباس الاول ·

واما في عهد الدولة الجديدة فان التفوق الاجتماعي اصبح لطائفة الجندية واصبحت مصر دولة عسكرية محضة

بلغ الاقبال التجنيد في عهدها ما لا مثيل له في عموم ادوار التاريخ المصري . فكان اولاد فرعون قواد الجيوش العامة . وبات تاريخ الجيش المصري هو تاريخ مصر الوحيد مدة قرن ونصف قرن وقسم القطر تقسيماً عسكرياً . فأقيم فيلق في الوجه البحري . وفيلق في الوجه القبلي وسلحت الجنود تسليحاً جميلاً برماحٍ وبلطٍ وقسيٍ وعجلات ذات مناجل خاصة واضحى النبالة المصريون رعب الاعداء ونخر الاوطان .

واقبل فرعون على الاشتغال شخصياً بمهام الحكم . فاخذ يجتمع كل صباح مع وزرائه للمداولة معهم في الشؤون العامة وكان امين الخزنة يحضر المجتمع وكانت وزارة المالية تسمى «بالبيت الابيض» كما يسمى بيت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الآن . وكلف المستخدمون برفع تقرير شهري عن الاعمال الى الوزارة لتعرضه على فرعون . ثم نظم القضاء تنظيماً حسناً فاقيمت محاكم ابتدائية في المدن وكلف المستخدمون في الاطراف بالنظر في شئون القضاء

هناك · وعين الكهنة قضاة في بعض الاحايين · وكثيراً ما كانت البلديات هي المحاكم · لا سيما بلديات الاطراف · وجعل وزير الوجه القبلي رئيساً لاعلى محكمة في البلاد وعهد اليه بالدفترخانة العمومية · وكان القانون الواقع في ٤٠ صحيفة مفتوحاً دائمًا امام المحاكم · فلم يعد يمكن توقيع عقوبة على احد بدون سابق محاكمة حتى ولو كان المتهم متهماً بالتآمر على الملك · ولم تكن الادارة تتداخل في تنفيذ عقوبة الا بعد حكم القضاء · فكانت مصر بذلك الدولة الوحيدة القديمة التي بالرغم عن كون حكومتها مطلقة عرفت كيف تفصل بين السلطة القضائية والسلطة الادارية ·

اما الدين فلم يدخل على مظاهره تغيير محسوس الا في عهد الدولة السادسة والعشرين · فان الاهتمام بجوهره اصبح قليلاً جداً وكبر بالعكس الاهتمام بمظاهره · واخذت مبادىء الطهارة والنجاسة تتسلط على العقول فتضايق انتشار الحياة اليومية وتضع العراقيل في سبيل الاعمال ·

وتثير حركة حماسية غبية في القلوب ظاهرها القضاء على البدع ومطلبها العود الى الدين القديم · ولما كان مجراها على عكس مجرى الايام ادت بمصر الى الانحلال والدمار ·

ونرى الا ننتهي من هذه النبذة الا بايراد شذرة من التعاليم الادبية والمواعظ الحسنة التي كانت اساس التربية الادبية عند المصريين لتكون مسك الختام · فها هي : « لتكن عبادتك لله وحده · الحق · العدل · القدوس · لا ترتكب تدليساً في حق احد من الناس · لا تعذب ارملة · لا تكذب في شهادتك · لا ترهق العامل · لا تتوان في عملك · لا تجعل همتك تثبط · لا تملأ قلب السيد سخطاً على عبده · لا تجوّع احداً · لا تبكِ احداً · لا تسرق الاحياء ولا الاموات · اجتنب المكاسب المحرمة · لا تتعدَّ على غيط جارك · اجعل في كلامك فرحاً لسامعيك · اطعم الجائع · اسق الظمآن · اكس العريان · ساعد المحتاج · خالف هواك ! » وان شعباً كانت تلقى عليه هذه المواعظ الادبية ويعمل بها لجدير بان يعتبر استاذ

الجنس البشري في معظم ما يستفيد منه الانسان في دائرة
العلوم ودائرة الدين · ودائرة الآداب

﴿ الفصل الثاني ﴾

« تاريخ قدماء المصريين السياسي »

(مقدمـــة)

ان تاريخ مصر اقدم تواريخ الامم التي يعرفها اهل الغرب والشرق الادني · وان كان من المحتمل وجود امم اخرى سبقت المصريين في مضماري الحضارة والرقي واخذ المصريون عنها كثيراً مما اشتهروا به : لان الحضارة التي تكاد ترافق مبادىء التاريخ المصري دليل على احد امرين : اما ان الشعب المصري اقدم بكثير جداً من المتفق عليه عند المؤرخين ومما يظهر من اثاره الباقية · واما انه اخذ الحضارة عن امم سبقته واندرست اخبارها كلية فنسب المتأخرون الى المصريين ما وجدوه بينهم من العقائد والشرائع والفنون والحرف والعلوم — ملك على مصر التاريخية ثلاثون اسرة ولكن البلاد لم تكن فوضى قبل بزوغ عصر الاسرة الاولى ويحتمل ان احكامها كانت في ايدي عدة

« رؤوس » يدعون انفسهم عواهل وملوكاً : شأن كل امير بل كل رئيس قبيلة في امة لا تعلم من مظاهر القوة والشوكة الا ما تراه منها في امرائها لقلة احتكاكها بالاجانب (١) غير ان اولئك الملوك المصريين الاصاغر لم يتمكن حكمهم القليل الاهمية من اختراق الدهور والوصول بانبائه الى السلف البعيد . لذلك ضاعت اسماؤهم ومحيت من ذاكرة التاريخ ايامهم بجميع مظاهرها الاجتماعية . غاية ما وصل الينا من انباء العصور السابقة لقيام الاسرة الفرعونية الاولى هو انه قبل المسيح بثمان آلاف سنة كانت احكام البلاد في مصر في يد جماعة من رؤساء العائلات « كما

(١) هكذا نرى صغار « الرؤوس » في الحبشه يتسمون ملوكا ونرى « حكام » دارفور وزنجبار وجزر « الملديف واللكاديف والقمر » يدعون « سلاطين » ونقرأ في التاريخ ان رؤساء القبائل الضاربة في فلسطين عند دخول اليهود فيها كانوا يسمون « ملوكاً » وان رؤساء الاقاليم الصغيرة في الاندلس الاسلامية كانوا يلقبون بالقاب الدولة العباسية والدولة الاموية الاسبانية الفخمة « كالمأمون » « والمعتضد » « والمعتمد » « والمؤيد والناصر » وهلم جرّاً .

كانت في مكة مثلاً قبل استتباب الاسلام فيها » · لهم السلطة العليا المطلقة على عائلاتهم في جميع الامور الدينية والمدنية كما كانت الحال في ايام « روما » الاولى · وان البلاد بالرغم عن تلك الحال لم تحرم البلوغ الى شأوٍ من التمدن يذكر فيشكر

اما تاريخ مصر الذي اجمع المؤرخون عليه فيبتدىء مع تبوُّء « مينا » او « مينيس » العرش المصري وتأسيسه اول اسرة مصرية معروفة · ولكننا لا نعلم بالتمام سنة قيام هذا الرجل العظيم لاتمام عمله الخطير · وان رجح المؤرخون ان ذلك تم حوالى سنة ٦٥٠٠ ق · م : لان سني حوادث التاريخ المصري لغاية قيام الاسرة الثامنة عشرة لا يمكن ضبطها ضبطاً تاماً لكون المصريين لم يتوفقوا قط الى اتخاذ حادثة تاريخية خطيرة مرجعاً يرجعون اليه في تاريخ حوادثهم كما توفق الرومانيون مثلاً الى اتخاذ « سنة تأسيس روما » مرجعاً لتاريخ وقائعهم · وكما توفق الغربيون الى تقرير « سنة مولد المسيح » · والمسلمون

الى وضع «سنة هجرة النبي الى المدينة» كنقطة مركزية يرجعون اليها في التاريخ المصري واما بعد الاسرة الثامنة عشرة فان سني التاريخ المصري . قد ضبطت بتطبيقها على تواريخ الامم المعاصرة : لان فتوحات تلك الاسرة والاسرات المجيدة التي تلتها كانت بدء عصر تعارف الامم الشرقية القديمة واحتكاكها وامتزاجها ببعضها واخذت الواحدة منها عن الاخرى شيئاً كثيراً من عاداتها وعقائدها وعلومها .

الدولة المصرية القديمة

يطلق على حكم الاسرات الست الاولى اسم الدولة المصرية القديمة . وقد دامت حوالي سنة ١٦٠٠ اي من ٦٥٠٠ ـ ٤٩٠٠ ق . م

ويظهر من الكتابات المصرية القديمة «الهيروغليفية» اي الكهنوتية المقدسة — التي عثر عليها في عدة قبور وهيا كل يرجع نبأوها الى ايام الاسرات الملوكية الاولى ان «منيس» عندما عزم على تأسيس النظام الملكي في مصر قد اتى بثورة

تشبه الثورات المتعددة التي. وضعت الهندوس والبراهمة تحت احكام الجنود « الكشتر ياس » (Kchatryas) • وانه كان اشبه شيء بسلاً — Sylla • القائد الروماني الذي قهر المشيخة الرومانية على الاحكام واقطع عساكره البلاد: لانه يعزى الى « منيس » نصر عظيم على الشعوب الليبية وعود مجيد من ساحات الوغى قبيل انتزاعه السلطة من ايدي الكهنة ولكن تقسيمه الاملاك المغتصبة من الكهنة والاهالي بين جنوده الفائزين كان اشبه باقتسام قواد الفرنك Franks للمقاطعات الرومانية التي استولوا عليها واوجدوا النظام الاقطاعي فيها منه باقطاع « سلاً » جنوده الحقول الايطالية: لاننا نرى من تلك الكتابات الهيروغليفية ان تأسيس « منيس » للنظام الملكي في مصر جعل السلطة محصورة في ايدي زمرة من كبار الجنود. كان الشعب خاضعاً لهم خضوعاً تاما يشبه خضوع فلاحي الاعصر الوسطى المظلمة في اوروبا. لاسيادهم الفرسان والبارونات الخ لا سيما وان اولئك الجنود الامراء كانوا مرتبطين بمواثيق

النسب مع البيت المالك بسبب كثرة الذرية الفرعونية المولودة للملوك في حرمهم المتعدد النساء ·

ونرى اعضاء تلك الفئة النبيلة المقتطعين الارض المصرية فيما بينهم اقتطاع المماليك لها فيما بعد · واقتطاع النبلاء للبلاد الاوروبية في عصر الاقطاعات · شاغلين جميع مناصب الدولة الرفيعة في الجندية والادارة شأن النبلاء في اوروبا قبل الثورة الفرنساوية · متوارثين اباً عن جد ولاية الاقاليم · مختصين على تمادي الايام بذات مهام الكهنوت ومحتكريها لانفسهم كما كانت حال البتريسيين « النبلاء » الرومانيين في ايام الجمهورية الاولى وكما كانت حال « بني قصي » في قريش والعرب · لهم الاباعد الفسيحة الارجاء · الدارة الخصب والخيرات · لهم الحظائر الكثيرة الاغنام حيث تعد رؤوس المواشي بالالوف · لهم المروج المتبخترة فيها الغزلان واللقالق والاوز المختلف الانواع · لهم القصور الفاخرة التي يحفهم فيها احترام رعاياهم وطاعتهم · بل وعبوديتهم : شأن « بارونات » الاعصر الوسطى الاوربيين

مع فلاحيهم . تراهم مغرمين بالصيد والقنص والاعتناء بتنسيق شجيرات حدائقهم العطرية . وتراهم يتنزهون على النيل والترع في مراكب كبيرة مربعة القلوع تحتاطهم زمر المغنيين والراقصات والغلمان . شأنهم في جميع ذلك شأن نبلاء العرب الاندلسيين بعد استقرار الدولة الاموية هناك وقد بلغ من رغبة اولئك الاعاظم في تقرير مبدأ خضوع فلاحي مصر لهم ان كاتباً مصرياً كان بلا ريب من صنائعهم ومن المقربين اليهم قام منذ نيف وخمسين قرناً ودوّن في بردي اداب السلوك الاجتماعية فجعل قاعدتها الطاعة البنويه والخضوع الاعمى للحكام .

مهما يكن من الامر فالثابت ان منيس بتأسيسه الحكم الملوكي في مصر قد صبغه منذ الاصل بصبغة الحكم الاستبدادي المطلق وانه وضع له نظاماً كان من شأنه مع تمادي الايام ان يجعل الملك مقدساً في اعين رعيته تقديس اليابانيين لميكادواتهم . مؤلها لديهم تاله امبراطرة الرومان لدى رعاياهم فانه رسم ان يعيش الفراعنة في قصور شاهقة فخمة

بعيدين عن انظار بقية الناس وان يجلسوا على عرش سني من الذهب الخالص محفوفين بمظاهر تعظيم واجلال توجب الرهبة والخضوع في قلوب الناظرين او السامعين بها مبالغة عن بُعد

فكانت نتيجة ذلك ان قد تربى بالتدريج في نفوس المصريين شعور عبودية عميق لفراعنتهم لا يكاد يذكر بجانبه شعور عبودية عثمانيي الايام الماضية للسلطان الجالس على العرش الاسلامبولي · وانهم اخذوا مع تباعد الايام يعتبرونهم ارقى منهم خلقاً — ويعدونهم اولاداً للشمس « فارا اون » اي « فرعون » ويتقربون اليهم عبادة وسجودا : فاذا ما مات الفرعون وحاكموه وكانت نتيجة محاكمته على اعمال حياته مشرفة له — شيد رعاياه له الهياكل وقدموا له المحرقات والقرابين فيها ·

ولا يستغرب من « منيس » اقدامه على ذلك : لانه مؤسس دولة جديدة تحف المصاعب به من كل جهة ويرى كل وسيلة حسنة للتغلب عليها · ولولا ان حكمة طالت

مدته وتجاوزت الستين عاماً بحيث هلك معظم المعاصرين لنهوضه وتأسيسه ملكة وتعاقب عليه «وهو فرعون» جيلان ولدا وعاشا تحت ظل احكامه فاعتاداها ورأياها نظامات الزمان — لما اجدته الاعمال العظيمة التي قام بها نفعاً كبيراً ولتمكن اعداؤه من تشويش اركان عرشه الحديث عليه ·

فان الكهنة الذين انتزع «منيس» السلطة منهم لم ينسوا اساءته هذه اليهم مطلقاً ولكنهم اذ لم يقووا على قلبه ورأوا انفسهم مرغمين على كظم غيظهم وهضم حنقهم ارتأوا ان ينتقموا منه بعد موته فكتبوا — وكانو هم الكتبة الوحيدين في القطر — ان الله لتغيظه من «منيس» سلط عليه تمساحاً افترسه اثناء استحمامه في النيل · افترو عليه هذه الفرية ليحطوا من قدره ويحقروه ·

يظن ان «منيس» اصله من مدينة تيني في مصر الوسطى · لذلك دعيت الامرة الاولى التي هو ارومتها «الاسرة التينية» · ومن اعماله التي خلدت له الذكر اقدامه على ابتناء عاصمة جديدة للملكة الجديد تساعد ابهتها

ونخامتها على محو ذكر اغتصابه للملك . وتكون حلقة الارتباط بين اقليمي وادي النيل اللذين وحد فيهما السلطة لنفسه . فحول النيل عن مجراه باقامة جسر جسيم في « قشيشة » لا يزال اثره باقياً الي يومنا هذا وابتنى مدينة « منف » او « منفيس » . ولا يبعد انه انما اراد ايضاً بتأسيسه تلك المدينة اشغال ايدي الفعلة المصريين بكثرة فلا يشكو احد من قلة عمل وتبارك اسمه الاسرات الآكلة من عمل عماله . هكذا رأينا نابوليون الاول في اوائل القرن الماضي يكثر للغاية عينها من فتح ترع واقامة جسور وتخطيط طرق وتوسيع مرافىء مما صرف على مجموعه نيفاً وخمساية مليون من الفرنكات من غير ان يرهق الخزينة الفرنساوية بسنتيم واحد . او يثقل غواهن الامة بزيادة ولو قليلة في الضرائب.

ملكت الاسرة التي اسسها « مينس » مائتين وثلاثة وخمسين عاماً ثم انقطعت سلسلة ذكورها فآل الملك عن طريق النساء الى الاسرة الثانية وهي ايضاً من « تيني » وملكت حوالي ثلثماية سنة وستين . والظاهر ان ملوكها

انما وجهوا معظم عنايتهم نحو تقرير طرق العبادات ووضع مراسمها كما وجه ملوك الاسرة الاولى انتباههم الى وضع قواعد الادارة . هكذا نرى « نوما بمبيلنس » واضع نظام العبادات الرومانية يخلف « روملس » مؤسس روما وواضع قواعد دستورها المدني الاجتماعي .

فثاني ملوك هذه الاسرة واسمه « كيكيئو » بني هرم سقاره الاكبر على ما زعم « مانيتون » المؤرخ المصري الشهير ليكون مدفناً لعجول « ابيس » الميته لان « كيكيئو » هذا هو الذي رتب عبادة الحيوانات المقدسة لا سيما العجل « ابيس » ونستدل مما وصلنا من اثار صناعة النقش والحفر المصرية في ذلك الحين انها كانت لا تزال غليظة سمجة لم تتهذب كما يتضح من قبر « طوطهوتب » احد كبار موظفي تلك الاسرة الثانية ومن ثلاثة تماثيل عثر عليها (مرييت ـ Mariette) باشا اول مديري المتحف المصري في مدافن سقارة :

اما الاسرة الثالثة وقد ملكت ما يقرب من ثلاثة

قرون فانها «منفية» اي من مدينة «منف» ومنها اول الملوك الغزاة الذين وسعوا حدود السلطنة المصرية • فقد وجد على بعض صخور شبه جزيرة سينا نقش يمثل «سنفرو» اخر ملوك تلك الاسرة الا واحداً يخضع قبائل الحجاز الرحاله • فكأن فراعنة مصر بعد ان فرغوا من اقامة دعائم الادارة والدين ارتأوا الدخول في مضمار الحروب لكيلا يكون ذكرهم خاملاً ازاء ذكر اسلافهم : هكذا خلف «نومابيليس» الهادىء على عرش روما الملكان الحربيان «تلس هستيليلس» • و«انكس مراسيس» • غير ان (Zoser) «زوزر» احد ملوك هذه الاسرة وجد من نفسه هوىً في اقتفاء اثر «كيكيئو» في مضمار البناء الهرمىّ فشرع في بناء يشبه هرماً في جهة سقارة • ولكن سنفرو الفرعون الحربي سبق جميع خلفائه في مضمار تشييد الاهرام لتكون قبوراً فانه استعمل ايدي اسراه من البدو الرحل في ابتناء هرمه المعروف الكائن في جهة «ميديم» (Medium) بالقرب من صقارة

ويظهر من آثار الاسرة المصرية الثالثة — لا سيما قبر احد كبار رجال حاشية الملك «سنفرو» اسمه «أمطن» (وقد نقل هذا القبر الى متحف برلين) — ان الصناعة قد تقدمت تقدماً محسوساً عما كانت عليه في ايام الاسرة الثانية · والرسومات على ذلك القبر تعرفنا كيف كانت حال المعيشة الاجتماعية في تلك القرون السحيقة · وتدلنا على ان المدنية المصرية — من وجهة الحرف والصنائع وآداب السلوك كانت قد بلغت من الكمال الدرجة التي عرفها الفرس والمكدونيون فيها واعجبوا بها وان شكلها الممتاز تلوح عليه دلائل القدم البعيد بحيث لا يخطىء من يقول ان الامه المصرية وهي في حال التكون سارت في معارج التقدم التدريجي قروناً طويلة حتى امكنها الوصول الى مدنيتها في ايام الاسرة الثالثة ·

فان المصريين كانوا منذ ذلك الحين البعيد يعرفون لا بل ويتقنون معظم الحرف المفيدة كالغزل والنسيج والصبغ وصناعة الاحزية المكشوفة · والحدادة والسبك والنجارة والصباغة وفرش المنازل بالاثاث الدقي · والنحت

والنقش والكتابة باقلام من غاب على ورق مقوى يستخرجونه من نبات البردي النامي على ضفاف النيل

وكانوا قد برعوا في هندسة الري · فشقوا ارض مصر ترعاً مفيدة لفلاحتهم التي كانوا يستعملون للتخديد فيها محاريث صغيرة لا عجل لها يعلقون عليها ثيراناً قوية · ويعتنون من اجلها اعتناءً فائقاً بتربية الماشية ·

ثم آل زمام الامور الى الاسرة الرابعة — وربما كان ذلك عن طريق الوراثة : كما آلت احكام انكلترا بعد « حنه الستيورتيه » الى بيت (الهانوفر Hanover) الالماني او بالحري كما آلت احكام فرنسا بعد « هنري الثالث القلوائي » الى « هنري الرابع البربوني » ·

فاحب « خوفو او كنبس » اول ملوك تلك الاسرة الرابعة ان يمحو بعمل ضخم هائل ذكر الملوك محبي البنا الذين سبقوه · فابتنى « الهرم الاكبر » في الجيزة ويقال انه ابتناه ليكون مدفناً له ولزوجه واولاده من بعده · فاذا كان الامر كذلك فهو اكبر وافخم واضخم مقاماً شيد

لميت على ممر الدهور بل هو لدقة هندسته واتقان صناعته — لان النحت والبناء فيه اعجب ما صنعه البشر — يشهد بان علم المباني في ايام « خوفو » بلغ شأواً لم يتعداه فيما بعد ولا يكاد يتعداه في ذات ايامنا هذه · فان بناء طرقات ومماشي وحجر داخلية في كوم من الصخور كالتي يتألف منها ذلك الهرم ولا تتداعى بالرغم عن ملايين القناطير الضاغطة عليها · ولا تزال بعد مرور ستين قرناً عليها حافظة لتنسيقها الاصلي بدون اقل تنسيم لمن اكبر المشاكل الهندسية حتى في هذا العصر

ويزعم المؤرخون ان المشتغلين في بناء ذلك الهرم زادوا على المائة الف عاملٍ وانهم اشتغلوا نيفاً وثلاثين سنة وقد حسب بعضهم ان الحجارة التي يتكون هذا الهرم الهائل منها تكفي لاحاطة فرنسا برمتها بسور ارتفاعه نيف وثلاثة امتار وسمكه متر او يزيد · لذلك اكسبت اقامة « الهرم الاكبر » صاحبه ابدية الذكر اكثر مما اكسبته اياها انتصاراته الخارجية ·

فان « خوفو » كان ايضاً ملكاً مقداماً حربياً لا يزال الثناء عليه المنقوش على بعض صخور جبل سينا يعطر ذكر فوزه على البدو الذين كانوا يضايقون العملة المصريين المشتغلين بالتعدين في مناجم النحاس هناك . ولا يبعدان المشتغلين قهراً في اقامة « هرمه الاكبر » كانوا من اسرى حروبه الخارجية اكثر منهم من رعاياه المصريين المسخرين للعمل فيه تسخيراً

لانه اذا صح من جهة ان الايام في مدة الاسرة الرابعة كانت قد وضعت الفراعنة من انفس رعاياهم في منزلة الالهة من نفوس عابديها . فسهلت لهم الاستبداد في التصرف في ايديهم واعمارهم الا ان النقوش والرسوم التي اخذنا عنها تاريخ تلك العصور تنبئنا بان عهد الاسرة الفرعونية الرابعة ارقى الاجيال المصرية القديمة التاريخية وان الزهو العام والثروة الداخلية قد بلغا في ايامها الذروة القصوى كما ان حدود الامبراطورية المصرية بلغت لغاية الشلالات جنوباً . وكل هذه امور قلما تتفق مع الاستبداد الفظيع

الداخلي وارهاق الملوك نفوس رعاياهم وتلاعبهم باموالهم واعمارهم · وقد راينا في ايام لويس الرابع عشر البؤس والخراب يحلان محل الرخاء والعمار عندما فتح ذلك الملك باب الاضطهاد والارهاق بعد اغراقه في بابي الاسراف والبذخ

نحن لا نريد من قولنا هذا ان ننفي عن خوفو « الظلم » والاستبداد برعيته استبداداً مراً · لان السلطة المطلقة في يد المرء سلاح قد يلجأ اليه ويسيء استعماله في ظروف لولا وجوده في يده لما فكر مطلقاً في الاساءة · هكذا نرى استاذاً مثلاً لم يستعمل في تأديبه تلامذته سوى الكلام قد يضربهم بالعصا اذا وجدها امامه وهكذا بمجرد سوء تفاهم منزلي بسيط يخطر فكر الطلاق فوراً على ذهن رجل لولا وجود الطلاق في نظام حياته الاجتماعية لما فكر فيه على الاطلاق ·

اما « خوفو » فقد اثبت عليه رعاياه الجور في الاحكام عندما قرروا في محاكمته بعد موته حرمانه من الدفن في الهرم الذي ابتناه مدفناً لنفسه عقاباً له على بغيه · وهو حكم

اصدروه ايضاً على « خفرا » ابنه وخليفته الذي لم يذكر له من ملكه سوى الهرم الذي اقامه بارهاق رعاياه ارهاقاً شديداً

اما منقورا « ميكيرنيس » (Mikerinos) فانه وان يكن قد اقام هو ايضاً هرماً ثالثاً ليدفن فيه الا انه استعمل في اقامته الرفق واللين فلم يترك بعده اسماً مسخوطاً عليه وذكراً ملعوناً . ومات قبل ان يتم هرمه فلم يجسر احد من فراعنة الاسرة الرابعة الذين خلفوه على اتمامه لنفور الامة نفوراً كبيراً من تلك الاعمال وحنقها على من يقوم بمثلها ... فانقرضت الاسرة الرابعة بعد ان ملكت مائتين واربعة وثمانين عاماً . وخلفتها الاسرة الخامسة فملكت ٢٥٨ سنة ملكاً حافظت فيه على وحدة الفرعونية المصرية وحمتها من التجزئة والغارات الاجنبية بالرغم عن الصعوبات المحيطة بها الناجمة عن نزوع كثيرين من حكام الاقاليم الى الاستقلال في مراكز املاكهم .

فلما قامت الاسرة السادسة كانت حال المملكة المصرية تشبه كثيراً حال المملكة الاندلسية عند بدء تولية هشام

المؤيد بالله ابن الحكم وحال الخلافة العباسية بعد هارون الواثق . وحال مملكة الكارولنجيين الفرنساوية في اواخر ايام (شرل البسيط) بل كانت تشبه حال المملكة الفرنساوية بعد مقتل « هنري الرابع » البربوني وحال السلطنة العثمانية في اوائل القرن السابع عشر للميلاد . ولكن (پابي الاول) ثاني ملوكها — وقد ملك مائة عام — ابقى لنفسه في ذاكرة المصريين شهرة بطل مقدام استوذر وزيراً حكيماً يدعى « أونا » كان له ما كان « البرنس بسمرك » لغيليوم الاول امبراطور المانيا وجد غليوم الثاني امبراطورها الحالي . فساعده في جميع اعماله العظيمة حربية كانت او مدنية بحيث باتت مصر في زمنهما مهابة الجانب عزيزة السلطان ويوجد في المتحف الخديوي المصري في القاهرة كتابة هيروغليفية منقوشة على صخرة كبيرة تبين معظم الاعمال التي قام بها « أونا » ذلك الوزير الامين .

ولكنه عندما اوهنت السنون قوى « پابي » واضعفت الاسقام جسمه . نزع « اخيتوئس » احد اعيان مصر

الوسطى الى العصيان والثورة وتمكن من فصل عدة ايالات جنوبية عن الامبراطورية المصريه واستقل بها ٠

فبدأ بذلك عصر ثورات ومشاغبات داخلية قسمت القطر المصري شطرين متطاحنين على الدوام ٠ فوقعت البلاد في خال لم تزده الايام الا ارتباكاً ٠ ووهنت قوى العقول وضعفت همة المزارعين والتجار فافتقر القطر وتعددت التمردات والثورات والاوبئة ولكن الملكة « نيتوكريس » « Nitocris » آخر افرع الاسرة السادسة تمكنت بدهائها وحسن سياستها من جمع قلوب الناس حولها ٠ فعرفها المصريون للاجانب باسم الملكة الجميلة ذات الوجنتين الورديتين ورووا عنها انها انتقمت لاخيها « وكان زوجها وسلفها » من الاعيان وولاة الاقاليم الذين تآمروا عليه وقتلوه انتقاماً دل على شدة ذكائها ودهائها ٠ فانها توصلت الى جمعهم معاً لوليمة او لمتها لهم في قاعة واسعة الاطراف كانت اوصلتها بنفق الى النيل فلما كمل انتظام عقدهم سلطت عليهم المياه فاغرقتهم ٠

هذه الملكة تممت بناء هرم « منكورا » بعد ان وسعت دائرته بحيث امكن اعتبارها مشيدته الحقيقية · وحكمت حكماً جميلاً ثابت الاركان · فكانت من مصر بالنسبة لجمالها ما كانت « ماريا ستوردا » من « اسكتلنده » وبالنسبة لفطنتها ما كانت « الياصابات » من انكلترا · لكنها أُخذت غيلة وعندما خلفتها على العرش الفرعوني الاسرة السابعة انقسمت البلاد الى عدة سلطنات حوالي سنة ٤٠٠٠ ق · م وخيمت على هذه الاسرة وعلى الاسرات الثلاث التي تلتها سحابة كثيفة لم يجتز ظلماتها ويصل الينا غير انباء الفوضى التي آلت الامور اليها في عهدها : « شأن الامبراطورية الرومانية بعد « مركس اوريليس » والخلافة العباسية بعد المستعصم » وهي فوضى دامت خمسة قرون وكاد ذكر مصر معها ان يمحى من الوجود · فنزلت السلطنة المصرية القديمة رويداً رويداً في رمسها الدائم — ولا يبعد ان يكون قد اخضعها فتح اجنبيّ ضاعت آثاره واخباره ·

﴿ الدولة المصرية الوسطى ﴾

يبدأ عصر عظمة مصر الثاني بتبوء الاسرة الحادية عشرة عرش مصر واعادتها النظام الى ربوع القطر السعيد . ولكن انوار المدنية والمجد التليد لم تشرق هذه المرة ما بين مدينتي « منف » و « ابيدوس » كما كانت حالها في عصور الدولة الاولى بل ما بين سوهاج وطيبه « الاقصر » اي في المدن الجنوبية . التي ثارت مع « اخيتوئس » في اواخر حكم « پاپي الاول » كان هناك اتصالاً بين ليل الفوضى الذي ارخى سدوله على القطر عقب تلك الثورة وبين فجر المجد البازغ الآن . مع ان الاسرة الحاديه عشرة تزعم في الكتابات التي تركتها للسلف في اثارها انها مرتبطة بالاسرة السادسة بعلاقات نسب لم يتوصل التاريخ بعد الى معرفة حقيقتها . شأنها في ذلك شأن الاسرة الثامنة عشرة التي رجعت فيما بعد بحسبها ونسبها الى هذه الاسرة « الحادية عشرة » وشأن عائلة « اللورين » الفرنساوية التي

عندما طمعت في الاستيلاء على عرش فرنسا وارادت اغتصابه من عائلتي « ڤالوا » و« بوربون » الملوكتين انتسبت الى الاسرة الكارولينجية وازاعت نسبها هذا في الملاء الفرنساوي ٠

اشتهر معظم ملوك الاسرة الحادية عشرة باسمي « انتو ٠ و ٠ منطوهوطب » وانقضت ايامهم في حروب مستمرة مع منشقى الاقاليم البحرية وفي صد هجمات غزاة اجانب ضاع ذكرهم ٠ حتى تمكنوا في نهاية امرهم من اجلاء هؤلاء عن الارض المصرية ومن اخضاع اولئك لاحكامهم اخضاعاً نهائياً ٠ فكانوا بمثابة العملة المثابرين الذين يمهدون الطرق الوعرة والمسالك الحرجة امام الجيوش الفاتحة ٠ وتركوا دولة قائمة الدعائم «لامنمحهت الاول» مؤسس الاسرة الثانية عشرة المجيدة ٠

هذه الاسرة انجبت ملوكاً تفاخر مصرُ الامم بهم الى يومنا هذا : ملوكاً عظاماً في السلم عظاماً في الحرب ٠ رفعوا شأن البلاد في الفنون والعلوم وجعلوا القطر المصريّ يدرّ

لبناً وعسلاً من البحر الابيض المتوسط لغاية الشلالات الجنوبية ورفعوا العلم المصري المظفر في الشمال والجنوب فكانت تنبعث عنه المهابة مسيرة شهر ٠٠٠٠٠٠٠ هؤلاء الملوك اشتهروا جميعاً باسمي « امنمحهت وازرتسن »

امنمحهت الاول حجر زاوية هذه الاسرة العجيبة يعده بعض المؤرخين مختلساً للملك ولكنه اذا كان المختلسون جميعهم على شاكلته فنعم المختلسون هم! هم مختلسون من طبقة نابوليون الاول وكرومويل ٠ ومحمد علي باشا الكبير! هم مختلسون من طراز « بيبين القصير » و« كاترينا الثانية الروسية »! ٠٠٠

فان اختلاس « امنمحهت » الاول العرش الفرعوني كان مطلعاً لاسعد العصور على مصر واكثرها بهاء: انتظم الري فيها فنمت الثروة وعم الرخاء وانتشرت الوية العلم الى درجة لم تعهدها القرون السالفة وما انفكت القرون التالية تعجب بها ٠ بلغت الفنون المتنوعه فيها شأوا ترك وراءه بمراحل الذروة التي بلغت اليها في مدة الدولة القديمة ٠٠ وبعض الحلي التي نشاهدها اليوم في متحفنا

الخديوي المصري وكانت اميرات مصر يزين بها جمالهنّ الطبيعي تبرهن على ادق وابدع صنع يتحير له لب رائيها · فيعترف مضطراً ان جيلنا هذا العجيب في كل شيء لم يظهر الى الوجود شيئاً ابدع وادق منها

اما الآداب الكتابية في عصر تلك الدولة الباهرة فحدث عنها ولا حرج · حسبنا انها باتت بعدئذ النموذج الوحيد للآداب التالية والمنوال الفذّ الذي سار الخلف عليه حتى بعد الفي سنه · كانما هي الآداب اليونانية التي اتخذتها القرون التالية كنزاً لنفسها تغترف منه سلاسة الانشاء وجمال الاسلوب او كانما عصرها هذا احد عصور الآداب الذهبية — القائمة على جانبي طريق الحياة الانسانية كمنارات ساطعة تنير سير الدهور امامها — · مثل عصر « بركليس » اليوناني او « اغسطس » قيصر الروماني او المأمون العربي او لئو العاشر البابا او اليصابات الانكليزيه او لويس الرابع عشر الفرنساوي — ! وماذا نقول عن نخار التشريع — وفلاسفة اليونان ومشرعوها انما اقتبسوا اصول

الشرائع واسرارها مما وضعه « اوزرتسن » الثاني في هذا الباب كما اقتبس عنه غيرهم من المشرعين الذين نسبوا لانفسهم ما اخذوه عنه ؟ او ماذا نقول عن الاقتدار العسكري — والامم المعاصرة لاوزرتسن الثالث سكتت امامه وخرت ساجدة ؟ ·

امنمحهت الاول وامنمحهت الثاني · ازرتسن الاول وازرتسن الثاني ! يالها من اسماء تحرك في افئدة المصريين شعور التفاخر بالانتساب اليهم وتجعلهم يرفعون رؤوسهم عزيزة بين الامم !

ولكن ما هي بجانب اسمي « اوزرتسن الثالث » و « امنمحهت الثالث » ؟ اي ملك من ملوك القدم في اي قطر وفي اي زمان يستطيع القيام ازاءهما اذا قارن التاريخ بين عظماء العواهل والسلاطين ؟ فقد بلغ من شهرة مجد اوزرتسن الحربي ان اليونان وقد عرفوه باسم (سيزوستريس) « نسبوا اليه فتح العالم برمته واقامة شموس الحضارة في ربوعه كلها » كانه « كيرس » الفرس او « اسكندر » المقدونيين ! وكفى « امنمحهت الثالث » فخراً انه سبق

اكابر مهندسي الري في ايامنا هذه وانشأ في واحة الفيوم خزانًا لمياه النيل عدّ من معجزات الكون ولكن لا كالاهرام عديمة الفائدة بل من احسن ما تصوره ملك محسن يحب خير رعاياه كالخزان الاسواني الذي ابتناه سمو الخديوي الحالي عباس باشا الثاني ! واقام امنمحهت في وسط ذلك الخزان العجيب تمثاله وتمثال الملكة زوجته وكلاهما يكادان يضاهيان في العلو والضخامة تمثال رودس الشاسع او تمثال الحرّية المقام على مدخل مدينة « نيو يورك » الاميركية ٠ كما انه ابتنى على ضفاف ذلك الخزان عينه دار ندوة بديعة الصنع غريبة الهندسة جعلها مستقرًا لحكام الاقاليم الوافدين عليه للمداولة معه في الشؤون العامة وسماه اليونان قصر « اللابيرنت » ٠ وقد وصفه بعض المؤرخين فقال انه كان يحتوي على ٣٠٠٠ غرفة و١٢ رحبة ٠

وقد كان امنمحهت آخر اعاظم فراعنة الاسرة الثانية عشرة التي انتهت بامرأة مثل الاسرة السادسة وكما انتهت الاسرة التيودرية الانكليزية باليصابات :

وخلفتها عن طريق النساء الاسرة الثالثة عشرة : فملكت ٤٥٣ سنة . وتدلنا الآثار التي تركتها على ان ملكها امتد لغاية (دنقلا) وعلى ان التجارة في ايامها راجت رواجاً عظيماً . نجد ذلك منقوشاً على صخرة عثر بها في الحمامات — وهي محطة على طريق القصير — تنبئنا بان حركة الاخذ والعطاء مع البلاد العربية كانت كبيرة وان النفوذ المصري كان عظيماً هناك بحيث ان البلاد العربية كانت تقتات اذ ذاك بالفتات المتساقط من المائدة المصرية وتنظر الى مصرنا هذه بذات الاعجاب الذي ننظر به الى اوروبا الحديثة او كما ينظر معظم مصريي اليوم الى العرب وتاريخهم لا بل باعجاب اكبر منه ، ولا يبعد ان تكون علاقات مصر في تلك الايام مع البلاد العربية الجنوبية ادت مع الزمان الى قيام المدنية اليمنية القديمة جداً السابقة لعاد وثمود الاولى .

ولكن الاسرة الثالثة عشرة ما لبث اواخر فراعنتها ان رأوا الاقاليم البحرية تنزع الى التمرد والعصيان . كان قد

قام فيها من ادعى التسلسل عن فراعنة الدولة القديمة وبث دعوته في اطراف البلاد فالتفت حوله . كما حدث للبرنس شارل ادورد آخر امير «استيوارتي» في الجزر البريطانية عندما نزل الى اسكتلندا مطالباً « جورج الثاني » ملك انكلترا بحقوق اجداده فخاب في مسعاه . او كما حدث لآل بيت العباس عندما قام (محمد الامام) في اواخر حكم الامويين يبث الدعوة للعباسيين فنجحت .

هكذا نجحت دعوة ذلك المدعي فتمكن من تأسيس الاسرة الرابعة عشرة التي اتخذت مدينة « كزويس » (Xois) — سخا — عاصمة لها وملكت فيها نيفاً واربعمائة واربعاً وثمانين سنة .

غير ان حكمها كان مضطرباً . ولم يظهر فيها فرعون واحد استحق اسمه ان يجتاز الدهور الينا . بل ان الوحدة المصرية في عهدها انفصمت انفصاماً تاماً وكثرت في القطر المشاغبات والاحزاب التي كانت مطامع الكبار وقودا لها . فعادت الى البلاد الفوضى كما كانت عند

اضمحلال الاسرة السادسة ووقعت حرب اهلية عنيفة بين الامراء الباقين من سلالة الاسرة الثالثة عشرة وبين فراعنة الاسرة الرابعة عشرة ٠

فاغتنمت القبائل « الكوشية » المجاورة لمصر في شبه جزيرة سينا وشبه الجزيرة العربية وبلاد سوريا الفرصة ورأت الوقت مساعداً لها على الفتح والاكتساح ٠ للاستيلاء على خيرات مصر الكثيرة ٠ فزحفت من كل حدب وصوب وتقدمت على البلاد من جهة برزخ السويس ٠ وربما كان تقدمها بناء على استنجاد آخر فراعنة الاسرة الرابعة عشرة بها لمقاومة القبليين كما ان زحف العرب الى مصر فى اواسط القرن السابع للميلاد كان بناءً على استنجاد حزب « الاقباط الموحدين » بهم على مقاوميهم « الملكين » وكما ان اقدام العرب على فتح اسبانيا انما كان بناءً على دعوة الكونت « يوليانوس » زوج ابنة الملك « وتيزا » اياهم للانتقام من « الملك رُدريق » قاتل حماه ٠ فاذا صح ان كبار مصريي الاقاليم البحرية استدعوا تلك القبائل

الكوشية فيكون المصريون انفسهم قد استدعوا العرب اذا الى بلادهم دفعتين وسلموهم مفاتيحها · دفعة في اواخر حكم الاسرة الرابعة عشرة القديمة واخرى في عهد المقوقس عظيمهم ·

﴿ الهكسوس ﴾

كانت تلك القبائل « الكوشية » خليطاً من العرب الحميريين والعمالقة والحيثيين والاروميين واليهود عرفها المصريون باسم عامٍ اطلقوه عليها وهو « شوش » اي « لصوص » وسمّوا ملوكها « هكشوس » اي ملوك اللصوص ·

اغاروا على مصر · فكانوا بمثابة سحب جرادٍ كثيفة انقضت على هذا الوادي الخصيب فدمرته · احرقوا المدن والمعابد · بعد ان نهبوها · خرّبوا القرى والحقول بعد ان سلبوها واعملوا السيوف في الرقاب فذبحوا معظم الذكور ذبحاً · ومن بقي — اي الشيوخ والنساء والاطفال — استعبدوه استعباداً منكراً ·

فلما سقطت « منفيس » في ايدي اولئك اللصوص — وربما كان فيها حامية مصرية قبلية — وتم لهم الاستيلاء على الوجه البحري برمته اجتمع رؤساؤهم وانتخبوا ملكاً عليهم من بينهم يدعى « شاليط » (Salatis) . ففرض جزية سنوية على المصريين المقهورين وسخرهم في بناء مدينة هوار (Awar) الحصينة عند التخوم الشرقية لصد غارات همجيين آخرين قد يرغبون في اقتفاء خطوات اقوامه الهمجية ثم صمم على مواصلة الفتح وشرع في اخضاع مصر العليا حيث اعتصم الامراء القبليون بعد سقوط الاسرة الرابعة عشرة البحرية واسسوا الاسرة الخامسة عشرة .

ولكن الاستيلاء على مصر العليا لم يكن بالشيء الهين فاستمرت الحرب سجالاً بين الهكسوس والامراء القبليين مدة ٢٠٠ سنة : اولئك يبغون اخضاع هؤلاء وهؤلاء يرومون اجلاء اولئك . الى ان تغلب « أسيس » الاجنبي اخيراً على خصومه ووضع مصر برمتها تحت احكام رعاته : فاضاعت استقلالها برهة .

وبالرغم عن ان حكم الهكسوس كان مقروناً في بدئه بفظائع واستبداد لكنه بات في نهاية الامر مفيداً للمصريين لان اولئك الاغراب كانوا اول من ادخل الخيل الى القطر المصري وعلموا الناس ركوبها . ولاستمرارهم على مناوشة المصريين علموهم فنون الكفاح والحرب الجهيدة فمكنوهم بذلك — عندما آن الاوان — من القيام بالفتوحات الكبيرة التي تمت في عهد العائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة

ومن جهة اخرى فان الهكسوس مع تقادم زمن احتلالهم لمصر تخلوا عن كثير من همجيتهم وتوحشهم وعاداتهم واقتبسوا شيئاً فشيئاً عن الامة المصرية المقهورة دينها وادابها وعلومها ومعارفها ورقة اخلاقها وبعد اقامتهم في مصر حوالي الثلاثة قرون امتزجوا بالمصريين امتزاجاً جعل المصريين انفسهم يعتبرونهم منهم ويدخلون الاسرة الهكسوسية الثانية في مصاف اسراتهم الاهلية ويعدونها السادسة عشرة الفرعونية التي كانت مدينة « تانيس » عاصمتها . وتانيس في بحيرة المنزلة الآن

وهكذا كان شأن مصر دئماً في القدم : ان تمدن قاهريها وتهذب اخلاقهم ونفوسهم : فتنتقم لنفسها من الاهانات التي يلحقونها بها انتقام الشمس من جاحدي فضلها : ترسل اليهم اشعتها المنعشة · فتحيي عقولهم السخيفة وتقوّم افكارهم المعوجة وتجعلهم يطأطئون الهامات لمدنيتها الساطعة ·

في عهد الاسرة الهكسوسية الثانية هذه وفد على مصر شعب بني اسرائيل — وقد ذهب بعض المؤرخين (سامحهم الله) الى ان « ابراهيم عليه السلام » جد الاسرائليين الاكبر كان من ضمن قواد الهكسوس الذين اغاروا على مصر وانما ذهبوا هذا المذهب لان « ابراهيم عليه السلام » كان معاصراً للفتح الهكسوسي وتزوج هاجر الامة المصرية ولان بعض قبائل يهودية كانت ضمن المغيرين على مصر ·

فانزل الملك الهكسوسي الاسرائليين على الرحب والسعة لكونهم بطناً عربياً مثله واقطعهم ارض غسان التي هي مديرية الشرقية الحالية · وكان قد سبق واتخذ منهم وزيراً هو « يوسف عليه السلام » المذكور في التوراه والقرآن

المجيد . فاشتد ساعده بهم وقدمهم على المصريين في كل شيء . فأخذ المصريون يحنقون على اليهود منذ ذلك الحين ويكرهونهم كرهاً شديداً لا سيما انهم رأوهم يثرون من فقرهم ويعلون من مسكنتهم ويمشون على الارض مرحاً بينهم كأنهم السادة والمصريين العبيد .

وازداد سخط المصريين على الاجانب المستوليين على بلادهم عندما رأوا الملك الهكسوسي «اپابي» يجعل لتأثيرات بعض المفسدين من بطانته نفوذاً عظيماً عليه : فيرفض الاستمرار على عبادة الالهة المصرية ويحتم على جميع رعاياه عبادة « سوتك » اله الرعاة الهكسوس ويبتني لالهه هذا في « تانيس » عاصمته هيكلاً فخماً قد عثر « ماريبت » باشا على بقاياه منذ عهد غير بعيد فغلت الصدور بالسخيمة . حتى اذا شرع « اپابي » في اضطهاد الرافضين الامتثال لاوامره اضطهاداً دينياً مدنياً منكراً ثارت ثائرة القوم . فهبوا جميعاً للدفاع عن عبادة وطدت القرون في قلوبهم حبها واحترامها لا سيما انهم رأوا من الامراء المصريين القبليين

مساعدة وتعضيداً ٠

هؤلاء الامراء بعد استيلاء « اسيس » على مصر العليا كانوا قد عادوا الى الظهور ومناوأة الغزاة ٠ فاتعبوهم وانهكوا قواهم الى درجة اضطرت الهكسوس الى ان يمنحوهم شبه استقلال وان يكتفوا منهم بجزية سنوية لكي يستريحوا من شرهم ٠ فقبل الامراء القبليون بذلك مرغمين ولكن فكر استرداد مجد مصر القديم وعظمة اجدادهم السالفة ما كان ليفارقهم مطلقاً بل كان يجعل افق امانيهم كبيراً على الدوام ٠ فغدوا يتحينون الفرص التي تمكنهم من الوثوب على الاجانب المغتصبين وطردهم ٠

فلما اهاج « ايابي » قلوب المصريين ونفوسهم بامره الديني واضطهاده وتقحم غضبهم واحتقارهم بلا مبالاة رأى الامراء ان هذا العمل الموجه ضدهم على الاخص — لانهم كانوا سدنة معابد « امون را » — هو خير فرصة يقدمها الزمان لهم لبلوغهم امانيهم ٠ فوطدوا النفس على الاخذ بناصر البحريين ولكنهم بعثوا في بادىء الامر يتلطفون لايابي ويحاولون

ارجاعه عن هواه وغيه وهم واثقون من عدم نجاح مسعاهم ريثما تتم تجهيزاتهم ومعداتهم . فدارت المخابرات بين « طيبة » و « تانيس » واستغرقت المدة الكافية لبلاط « طيبة » ليكون على اهبة تامة . حينئذٍ قطع « راسكنم طآء » الامير المصري القبلي تلك المخابرات فجأة . وخلع عن نفسه نير تبعيته للهكسوس برجة دوت البلاد لها . فاعلن استقلاله بالصعيد وتتوج باسم « طآء » الاول فرعوناً عليه مؤسساً بذلك الاسرة السابعة عشرة . ثم بعث الى الثائرين في الوجه البحري ان « تجلدوا فقد اتاكم المدد » وشنّ على الملك الغريب الغارة .

هكذا ابتدأت حرب الاستقلال في مصر

وفي الحال انضم الى فرعون الوجه القبلي جميع المصريين اكابرهم واصاغرهم في انحاء البلد كافة . وقام الكل يحاولون طرد عدوهم . فدارت بين الطرفين معارك ووقائع دموية عنيفة قاتل « الرعاة » فيها بانفعال السيد الذي يرى عبده شاقاً عصا الطاعة عليه وقائماً في وجهه فيبغي تأديبه . وقاتل

« المصريون » فيها باستبسال الرجل المغتصب منه اعز ما لديه و يريد استرجاعه ففاز « المصريون » في معظم تلك الوقائع والمعارك واجلوا « الهكسوس » اولاً عن جميع المراكز التي كانت لهم في مصر الوسطى · ولم يزالوا بهم حتى اجلوهم عن الصعيد برمته وطاردوهم حتى ابلغوهم مدينة « منف » وحاصروهم فيها حصاراً شديداً دام مدة مديدة لمنعة المدينة العظيمة ولامداد « تانيس » اياها بالنجدات المتوالية ·

ولكن كل محصور مأخوذ · فما لبث المصريون ان قطعوا الطريق دون بلوغ اي مدد الى المدينة المحاصرة وفي شدة اتقاد نيران البغضاء في قلوبهم لاعدائهم الخائرين لم يصبروا حتى يفتح الجوع ابوابها امامهم فيلجوها آمنين بل اقتحموها عنوة وافتتحوها واعملوا السيف في حاميتها القليلة الباقية ·

فكان لسقوط « منف » بين ايدي المصريين هزة فرح وطرب سرت في البلاد كلها · فهللت من اقاصيها الى اقاصيها · واشرأبت الى امرٍ كان لا بد واقعاً الا وهو

اجلاء الهكسوس عن جميع ارض مصر ·

ثم اقام الفرعون القبلي حاكماً مصرياً في العاصمة المسترجعة وعاد الى مطاردة اعدائه من حصن الى حصن ومن مدينة الى مدينة حتى اجلاهم تماماً عن كل جهات مصر الغربية وحصرهم جميعاً في الاقاليم الشرقية ثم ما زال بهم هناك ايضاً حتى اضطرهم جميعهم الى الاعتصام في دائرة حصون « هوار » مدينتهم المنيعة كملجأ اخير · فقاوم الهكسوس هناك مقاومة المستبسل المستميت وتمكنوا من المحافظة على مراكزهم دهراً طويلاً بالرغم عن مجهودات المصريين الجهيدة ·

ثم ارتقى « احميس الاول » العرش الفرعوني — وكان شاباً في مقتبل العمر جمع بين حكمة امنمحهت الاول والثالث وفطنة « اوزرتسن الثاني وشجاعة واقدام « اوزرتسن الثالث » اجداده الاماجد — فشدد عزائم مصريه وهاجم « هوار » من كل جهاتها هجوماً متتابعاً عنيفاً · بل هجوماً مستديماً في النهار وفي الليل لا تتخلله راحة ولا ملل حتى دك حصونها

الواحد بعد الآخر واستولى في نهاية الامر عليها استيلاء تامًا في السنة الخامسة من ملكه السعيد . فانسحبت بقايا المكسوس الى « سوريا » حيث اقتفى المصريون المنصورون اثرهم وما لبثوا يطاردونهم حتى ادركوهم بالقرب من « شاروهين » على حدود « فلسطين » وبطشوا بهم بطشاً مريعاً في السنة التالية

على ان بعض الرعاة فضل الخضوع لاحكام « احميس » والتسليم له والبقاء في مصر في حالة رق واستعباد على ترك ارض مصر الغنية التماساً لحرية قد يقضي الجوع عليها

هكذا بعد سقوط مدينة « غرناطة » العربية في ايدي « فرديناند » « وأيزابلاً » الاسبانيين الكاثوليكيين سنة (١٤٩٢) فضل اليهود والموريتانيون الاقامة في ذل الاندلس المغلوبة على امرها على الذهاب الى الساحل الافريقي للهيام في فيافيه

فاذن لهم احميس بزراعة الاطيان التي ورثوها عن اجدادهم . ولكن بعد ان ساوى بالارض « هوار » مدينتهم

الحصينة وترك « تانيس » عاصمتهم العظيمة مرتعاً للبوم والغربان بحيث ان ذكرها ضاع من التاريخ عدة قرون · فتكونت من الباقين مستعمرة اجنبية لا نزال لغاية الآن نرى افرادها في اشخاص الصيادين القاطنين اليوم على ضفاف بحيرة المنزلة ذوي العضلات القوية والوجه المستطيل القليل الابتسام ·

هكذا انتهى حكم الاجانب على مصر بعد ان دام حوالي الستة قرون

الدولة المصرية الثالثة او الجديدة

على ان حرب الاستقلال كانت قد دامت نيفاً ومائة وخمسين سنة · وفككت عرى كل نظام في مصر وملأتها خراباً · فاهتم « احميس » اذاً في بادىء امره باعادة النظام والطأنينة الى الربوع ثم اذ تم له ذلك شرع في اعادة عصر التشييدات الكبرى فرمم « منفيس » العاصمة المقدسة التي كان الرعاة قد خربوها · ورمم في كرنك « طيبة »

معبد « امون را » الاله الذي منحهم النصر المبين . واقام عدة مبان فخمة جليلة . وفي السنة الثانية والعشرين من ملكه اعاد فتح محاجر « طرَه » و « المعصره » باحتفال حافل واخذ في ترميم معبد « پتا » الاكبر .

ولكن اعماله هذه لم تكلف المصريين عناء مطلقاً : لانه استخدم فيها ايدي اسرى حروبه مع الهكسوس وايدي الاسرائليين والشعوب الاسيوية الاخرى

فلما تم لاحميس جميع ما ابتغاه من الاصلاح والتشييد وبعد ان اعاد الى مصر استقلالها ورونقها وجلالها . فاقامها في مركز من الثروة والرخاء والمنعة يعزُّ مثيله شعر بأن قوة توسع عظيمة لم تكن الامة قد عهدتها في نفسها من قبل اخذت تسري في جسمها بعنف كأن قد اعتراها ردّ فعل هائل بعد كل اعصر الاستبداد الاجنبي التي اجهدت ذاتها للتخلص منه اجهاداً شديداً . فأخذت هي نفسها تحس الآن بضرورة حيوية لها في الاقدام على فتح بلاد غيرها واستعمارها : شأن فرنسا مثلاً بعد تخلصها من السلطة

الانكليزية عليها في الاعصر الوسطى . وشأن اسبانيا بعد استرجاعها نفسها من ايدي العرب عندما هبت الاولى لفتح ايطاليا واخضاع شعوبها وهبت الثانية لاكتساح امريكا وتخريبها . فرأى « احميس » ان يهذب سير تلك القوة و يقوم طريق ذلك الاحساس و يمهد السبيل امام خلفائه ليسيروا بالامة بدون خطر الى معارج الاستعمار الذي تبتغيه ومجد الفتح الذي تتوق اليه . فتزوج من اميرة حبشية ليضم اليه قلوب جميع الشعوب الجنوبية وقرر ان يدعى ولي عهد الفرعنة المصرية من ذلك الحين فصاعداً « اميركوش » كما يدعى ولي عهد الامبراطوريه البريطانية الآن « اميرويلس » لكي يديم بذلك التصاق الجنوب به كما أدام تلقب ولي العهد البريطاني « بيرنس اوف و يلس » التصاق « بلاد ويلز » بانكلترا . ثم انه اذ رزق ولده « آمن هوطب » من « نورتاري » زوجته . تلك الاميرة الحبشية العاقلة التي احبها الى درجة تاليهها وعبادتها اشار عليه بالا يقدم على فتح جهة الشمال قبل ان يستوثق تمام الاستيثاق من خضوع الجنوب برمته

للسلطة المصرية وصيرورته منها بمنزلة الجزء الذي لا ينفصل من الجسد : لان « احميس » ادرك في حينه ان السودان والحبشة من ضروريات مصر وانه يجب حتماً على مصر — « لا سيما اذا ابتغت استعماراً جهة الشرق او الشمال » — الا تسمح ابداً بقيام دولة قوية في جنوبها : لان مثل هذه الدولة تصبح سيفاً مسلولاً فوق عنقها ان حولت مجرى النيل عنها قتلتها . وذلك هو ايضاً مـا ادركه محمد علي واسماعيل الاول في ايامنا هذه . ثم مات احميس وهو شبعان اياماً ومجداً تاركاً في قلوب المصريين ذكراً وشهرة خالدين لم يترك سواه مثلهما في قلوبهم . فلم يكتفوا بجعله بطل رواياتهم واغانيهم . بل الهوه واقاموا الهياكل لتماثيله. وكان مؤسس الاسرة الثامنة عشرة المصرية اجدر بها من اغسطس وامبراطرة الرومان بالهياكل التي عبدهم الرومان فيهـا .

فقام « امن هوطب الاول » ابنه عملاً بمشورة ابيه المجيد بعدة حملات منظمة على البلاد الجنوبية تم له بها

اخضاعها اخضاعاً تاماً لسلطنته . فانتشرت المدنية المصرية في تلك الربوع حتى بلغت « نباتا » عند الشلال الرابع وتجلت الفرعونية المصرية باجلّ مظاهر القوة من ينابيع النيل الازرق وملتقاه بالنيل الابيض الى البحر المتوسط . كما كانت في ايام الاسرة الثانية عشرة : فانذهل العالم انذهالاً عظيماً . وازدادت قوة الانتشار عملا في عروق الامة المصرية وباتت حاجتها الى الفتح والاستعمار لاتقاوم شدتها لا سيما ان الامة رأت العالم حولها كانه حقل اعد لكي يمر عليه محراث المدنية او كانه دار تحتاج الى من يعمرها .

فشد «طتميس الاول» بن «آمن هوطب» رحال كتائبه المصرية الشديدة المراس وسار بها شرقاً في الطريق التي كان ما تبقى من شرازم الرعاة قد انهزم منها امام وجه المحاربين المصريين السائرين وراء لواء احميس المنصور . ففتح بذلك عصر الغزو والاكتساح والاستعمار امام الامة المصرية . فلم تعد تستطيع الامتناع عن ولوجه ودامت الروح الحربية هائجة في صدرها ودام

النصر العزيز ينفخ اوداجها خمسة قرون طوال غيرت في خلالها نظام المعمور ! فانبثقت بفرقعة ودويّ عظيمين انوار عهد جديد في آفاق الانسانية القديمة ختم معها تاريخ الشعوب منفصلة عن بعضها وفتح تاريخها متصلة متعارفة اخذة الرقي والحضارة بعضها عن البعض الآخر .

ما كان اعجبها من ايام ! وما كانت اغربها من اعوام ! لم تعد مصر ترى لها مثيلاً وباتت فيما بعد — عندما انفرط عقد الانتصارات وانكسفت شموس الفوز وانسدل ظلام الذل الدامس بعد نهار العز الاقعس — التعزية التي ترجع القلوب اليها والمورد التي تستقى الامال منه . والعصر الذهبي الذي تتغني به المخيلات . كان ابن الفلاح المصري يسافر جندياً . فيغيب ردحاً من الزمن ثم يعود واذا به قد اصبح بفضل شجاعته واقدامه قائداً عظيماً ومشيراً كبيراً ! كانت الفيالق المصرية تجتاز المدن والقرى والطبول امامها تدق والصنوج تعزف ويملأ الناي الفضاء تغريداً . فتتخطى الحدود والقلوب تتبعها شرقاً وغرباً او جنوباً فما تغيب

الابرهة ويزيع في طول البلاد وعرضها نبأ فوز عظيم احرزته في موقعة صاعقية ساحقة اما فوق هضبات الحبشة وذراها او بين رمال الصحراء الليبية وواحاتها . اما بين وعور جبال الشام او على ضفاف نهري العاصي والفرات فتهتز البلاد عجباً وخيلاء وتمتلىء تهليلاً وتتدفق كؤوس الحبور فيها . ثم يعقب النبأ تتابع مواكب النصر افواجاً افواجاً . فتارة تمر اسلاب الجنوب فتجتاز صفوف الظرّافات والنعم . ومئات النمور والسباع المقيدة الطرق العسكرية ما بين وادي حلفا وطيبة ويسير العبيد المأسورون وراءها جموعاً جموعاً فيخرج الاهالي وكلهم ثملون بخمرة العظمة للتفرج عليها والاعجاب بها ونثر الزهور على قانصيها وصائديها واسريها . وتارة تمر انفال الغرب فتخترق فيالق المغاربة الكاملة العدد شوارع المدن وميادينها من « منف » الى « طيبة » بالويتها الممزقة واسلحتها المنكسة . فيخرج المصريون السمر اللون المتوقدو الاعين ذكاء للتفرج على الخوذات الغريبة الصنع او على جلود ضواري الصحاري التي تغطي

رؤوس جنودها المأسورين او تحيط بها . وللاعجاب باجسام اولئك الاسرى الطويلي القامة الناصعي بياض اللون الذي يزيده زهواً الوشم الوحشيّ الموشومة تلك الاجسام به . وطوراً تمر غنائم الشرق الشمالي . فتسير جموع البدو الحيثيين والادوميين والحميريين المأسورين مسوقة سوق الانعام من رمال « پلوزا » الى ضفاف النيل المخترق « منف » ومن « منف » الى « طيبة » العاصمة المجيدة العظيمة ويسير امامها المنادون ينادون « هاكم اولاد المكسوس ! هاكم نسل اللصوص الذين خربوا البلاد وساموا المصريين العذاب قد داسهم « طوتميس » فرعوننا المجيد تحت سنابك جياده ووضع « ابن آمون » رقابهم تحت اقدامنا مواطئاً لارجلنا ! » فيخرج المصريون عن بكرة ابيهم : هذا يغادر حقله وذاك محراثه او ثوره وآخر ساقيته . تلك تترك طاحونتها والاخرى بقرتها الحلوب وهذه تحمل اولادها على ذراعيها ويهرول الكلُّ ليمتعوا اعينهم بذل اولئك الملاعين وينعموا رواحهم برؤية المسكنة المنيخة بكلكلها على ذرية الافاعي

التي نفثت سمومها على الوادي الخصيب فاجدبته . واذ يرون جموع اولئك الاسرى تمر منكسة الرؤوس مكاومة الاجساد تتعثر بالقيود الثقيلة المكبلة اقدامها وايديها بها . — آه يالفرحة النفوس وابتهاج الافئدة ! — ينهالون عليها بالسب والشتائم وجميع مظاهر الحقد الذي لا ينطفىء . بينما الطبول تدق وتعزف الموسيقات . وينشد الكهنة وترتل العذارى وتغرد النساء ، ويهتف الكل : (اذهبوا اذهبوا واعملوا في تشييد معابدنا وتحصين حصوننا يا من خربتم معابدنا ودمرتم حصوننا اذهبوا واشتغلوا الآن تحت سياطنا كما شغلتمونا في ذات بلادنا تحت سياطكم الملعونة دهراً !) . ثم تعود بعد ذلك الفيالق المظفرة من الشرق ومن الغرب والجنوب تتقدمها الرايات والغنائم وتجتاز المدن والقرى . فيخرج اباء المنتصرين وامهاتهم وازواجهم وعرائسهم ومحبوبات قلوبهم لمقابلتهم فيشير كل من المتفرجين ببنانه الى موضوع فخره ويحييه بلهفة تحية القدوم وينثر تحت اقدامه زهور الترحيب . ياللايام ! ياللايام ! ...

واخيراً يقبل موكب طوتميس الفرعون العظيم يجر عربته الملوك المأسورون . فتخر الجباه على الارض ساجدة وتصمت الارض برهة اجلالاً ... ثم تدوي في الفضاء الاناشيد الحماسية وتتماوج اشعارها فوق الرؤوس ويرن القطر من اقصاه الى اقصاه بتمجيد الغازي وتسبيحه وبحمد « امون را » ابيه الذي لا يموت والذي منحه كل ذلك النصر !

من هم ملوك هذه الاسرة الثامنة عشرة العجيبة الذين رفعوا الى السماك الاعلى اسم مصر وشهرتها ومجدها وعزها وجبروتها . الذين اخضعوا لها اليابس والمحيط واقاموها فوق ذروة المعالي سيدة المعمورة وربة الاقطار ؟ اسمعوا اسماءهم يا أولادي وانقشوها باحرف بارزة على صميم قلوبكم وعلى صفحات ذاكرتكم . فانكم لا تجدون تعاقب ملوك عالي الهمة متفوقي صفات الرجولية مثلهم فى اية امة اخرى من الامم القديمة .

فهم احميس الاول . فامن هوطب الاول . فتوطميس الاول . وطوطميس الثاني . و (حاتاسو) الملكة الفائقة الجمال

والبراعة الى حد يفوق التصور · التي كانت اول من غلب الاقيانس الهندي على اسراره وسيرت رحلة بحرية اليه فاجتازت القلزم وخاضت لجاج المحيط وعادت بكنوز لا توصف من المعادن الثمينة والاشجار العطرية · فاحتفلت المملكة العظيمة بعودها احتفالاً شائقاً · (حاتاسو) اخت طوتميس الثالث ومربيته ومدربته ومعدته لمدهشات الاعمال التي قام بها · فتطميس الثالث — النابوليون المصري — الذي وضعت مصر حدودها في مدة حكمه حيثما شاءت من الاقطار وامتد سلطانها على الحبشة الحالية والسودان والنوبة وعلى سورية برمتها وما بين النهرين والعراقين العربي والعجمي و بلاد الكرد والأرمن · « فامنهوطب » الثاني فأمن هوطب الثالث الذي رأى اليونان تمثال الاله « ممنون » الاثيوبى ابن « نبطون » و « الفجر » في تمثاله المقام نخراً له في طيبة والذي كان اذا اشرقت عليه اول اشعة الشمس البازغة رن رنيناً مطرباً · فقالوا « ممنون » يصبح على « الفجر » ابيه · « فأمن هوطب » الرابع ابن المملكة الاجنبية « طاي » التي

كان لتربيتها من التأثير الشديد عليه ما جعله يبتعد عن دين الفراعنة اسلافه وعن عبادة « امون را » الاله المصري ليتبع عادات الشعوب الشرقية و يعبد معبوداتها واذ رأى ان ذلك ابعد قلوب رعاياه المصريين عنه نفر هو ايضاً منهم وغادر طيبة عاصمة ملك اجداده وابتنى له بالقرب من ملوّى وفي الجهة المعروفة الآن باسم « تل العمارنة » عاصمة جميلة زينها بالقصور والحدائق واحتاط فيها بجمهور من الاسيويين لا سيما اليهود · ولا يبعد ان « طاي » امه كانت يهودية الاصل وان اخوال « امن هوطب » وانسبائه اليهود كان لهم ضلع في هذه الفتنة الدينية التي احدثها لان هناك اوجه شبه كثيرة بين اشكال عبادة هذا الملك — المحفوظة لنا في آثار تل العمارنة — و بين اشكال عبادة الاسرائليين في التيه · والذي يزيد هذا الظن رسوخاً ويجعله اقرب شيء الى اليقين هو ان اضطهاد المصريين لليهود لم يتخذ شكله الحاد الا بعد استتباب الاحوال وعودة السلطة المصرية الى فراعنة الاسرة التاسعة عشرة : كأن

ملوكها ارادوا الانتقام من اليهود ومعاقبتهم على ادخالهم الخلل في الحياة المصرية الاجتماعية ·

غير ان « امن هوطب » الرابع بالرغم عن الفتنة الدينية التي احدثها — لم يحد عن طريق العظمة التي اختطها اسلافه الفخام ·· فلم تنكسف شموس المجد المصري في أيامه ولا تضاءلت انوار العز وهيبة المنعة · ولكنه ببدعته الدينية كان قد ادخل في حياة الامة سما مدنياً ما لبث ان ظهرت اعراضه الفتاكة : لانه لما كان الناس على دين ملوكهم فقد اتبع الكثيرون من كبار البلاد المذهب الجديد المبتدع — كما حدث في انكلترا مثلاً عندما نزع هنري الثامن ملكها الى ابتداع مذهبه الانجليكاني — فكان ذلك سبباً لوقوع البلاد فيما بعد في فتن وتمردات وشبه حروب اهلية لداعي الانقسامات الدينية جلبت على الدولة والامة شروراً كثيرة واوجبت انفلات المستعمرات المصرية من ايدي المصريين وخروج بني اسرائيل من مصر تحت قيادة « موسى » — عليه السلام — الذي قد بلغ الكفر ببعض

المؤرخين الى حد حملهم على الذهاب بانه انما كان قائداً مصرياً كبيراً اعتنق بدعة « امن هوطب الرابع » ونزع الى الثورة والتمرد في عهد « نخت سيتي » مؤسس الاسرة العشرين عند اشتداد الاضطهاد على اخوته في المذهب لا سيما بعد استدعائهم همجيي (ليبية) الى نجدتهم في اواخر حكم الاسرة التاسعة عشرة . ويقول اولئك المؤرخون الكافرون ان مثل « موسى » — عليه السلام — كمثل موريس دي ساكس الامير البروتستاني المتمرد على « شرلكين » امبراطور المانيا الاسبانيولي او كمثل « غيليوم دي نسو » الاورنجي الشاق عصا الطاعة في وجه فيليب الثاني الاسباني او كمثل « غستاف ڤازا » الاسوجي الذي دعا اهل (الداليكرليا) النروجية الى الثورة على « كرستيان الثالث » الدانيمركي فنجح في مسعاه وتتوج ملكاً على السويد . وفات هؤلاء المؤرخين ان « موسى » — عليه السلام — نبيٌّ مرسل بعثه الله لانقاذ بني اسرائيل من عبودية مصر .

مهما يكن من الامر فمما لا شك فيه هو ان بدعة « امن هوطب الرابع » اوشكت ان تقضي على البلاد لولا ان « حور محب » آخر ملوك الاسرة الثامنة عشرة تمكن بعد جهد جهيد من اعادة بعض الطمأنينة والسكينة اليها ولولا ان فراعنة الاسرة التاسعة عشرة — وكان معظمهم من كبار الرجال — اوقعوا من هيبتهم وجبروتهم رعباً في قلوب القائلين بمذهب « امن هوطب الرابع » فاخلدوا الى السكينة · ولكنهم عادوا الى الظهور والحركة في اواخر ايام « رامسيس الثاني » وتجزوا براكين حرب اهلية في ايام « منفتاح » بن « رامسيس » هذا وفي مدة الفوضى التي تلت انقراض الاسرة التاسعة عشرة ·

فكأن شأن بدعة « امن هوطب الرابع » في مصر كان كشأن الحركة (البروتستانية) في اوروبا : اوقدت فيها نيران فتن وحروب دامت مشتعلة محترقة نيفاً ومائة وخمسين سنة · تهب فتخبو · ثم تعود الى الاندلاع والتخريب ·

اما « حور محب » آخر فراعنة الاسرة الثامنة عشرة

المجيدة فانه مات بدون عقب ولذلك خلفه على العرش « رامسيس الاول » (مؤسس الاسرة التاسعة عشرة) الذي ابتدأ اضطهاد اليهود على يديه

في مدة حكم هذه الاسرة التاسعة عشر لم تنزل مصر عن عرش المجد الذي اجلستها الاسرة السابقة عليه بل بقي سنا ذلك العرش ساطعاً في عليين · فرامسيس الاول وسيتي الاول ورامسيس الثاني من كبار فراعنة الدهور · والاثنان الاخيران من اعاظم الفراعنة الغزاة — وان لم يبلغا شأو اقيال الاسرة الثامنة عشرة الفخام وكانا دونهم بمراحل — ولم تشعر مصر من نفسها بتعاسة لصيرورة الاحكام اليها الا في اواخر ملك رامسيس الثاني الذي ملأها مباني واثاراً أرهقتها واقدم على حروب طويلة لاطائل تحتها اثقلت خزينتها وثقلت على الجنود والضباط وطأتها ·

وقد كان هذا الفرعون الذي نرى جثته الان محنطة في دار التحف الخديوية بمصر رجلاً كثير الاعجاب بنفسه يريد الاّ تفتخر مصر بغيره · فاقدم على عمل نعدّه في

عرف ايامنا الحاضرة تزويراً في اوراق رسمية · وهو انه حذف اسماء اسلافه من الاثار التي اوجدها ووضع اسمه بدلها عليها · لكي تظن العصور القادمة ان كل فخر التاريخ المصري ينتسب اليه وحده وانه اذاً لوحيد الزمان ولفريد الاكوان · وتمكن من نيل بغيته الى حين طويل · فان اسمه « وقد قلب الى سيزوستريس : فساعده التاريخ عينه بذلك على اختلاسه من ازرتسن الثالث فرعون الاسرة الثانية عشرة الفاتح » قد اصبح عنوان المجد والفخار والفتح والاستعمار لدى شعوب الارض كلها التي ظنته — بفضل تزويره — المقصود بالذات مما تغنى به هرودتس المؤرخ اليوناني « في سيزوستريس » نقلاً عن كهنة المصريين · احاطته مدة طويلة بهالة جميع الاعمال العظيمة التي قام الفراعنة بها على ممر الدهور ·

ولكن الكذب لا تدوم دولته والحق لا بد وان يحصحص فان بعض اثار تاريخية عثرنا عليها كقصائد محفوظة على ورق بردي · ونقوش على جدران الهيا كل ورسومات بديعة واسعة

الاطراف تمثل اهم حوادث ايام رامسيس الثاني تمثيلاً يزيح الستار عن حقيقته التي خفيت عن اعين السابقين كل ذلك مكن المؤرخين من اعادة الشهرة الى مستحقيها واعطاء كل قوس باريها ٠

فنحن نعرف الآن ان ايام هذا الملك كانت ايام حروب غير منقطعة ولكن لا فائدة منها لانها لم تكن ذات وقائع فاصلة ٠ فالشعوب التي اخضعها حسام طوتميس الثالث انتقضت من كل حدب وصوب وهاج السودان كما هاج على يد « محمد احمد المهدي » تحت حكم توفيق الاول الخديوي السابق ٠ وقام الحيثيون — وهم الشعوب العربية والبدوية المتاخمة للحدود المصرية في الشمال الشرقي والتي خرج الهكسوس منها وسحقها فراعنة الاسرة الثامنة عشرة الكبار — وقام « الليبيون » — وهم الشعوب الضاربة في الصحراء الغربية — واقبل الجميع على بناء الامبراطورية الفرعونية يعملون فيه معاول الهدم والتخريب فاشتبك رامسيس معهم في حروب دامت ثمان عشرة سنة وختمت بمعاهدات كان الفخر فيها في جانب « الحيثيين » اكثر منه في جانب الفرعون

الفخور · على انه في اول شبوب تلك الحروب كان قد اتى عملاً فخماً — اذ انه تمكن بفئة قليلة من التغلب على فيلق اعداء كثير العدد احاط به فجأة وهو يكاد يكون فريداً : فلم يسقط « رامسيس » في يده بل اقبل يعمل في الاعداء الرمح والسيف · ويسير مركبته الحربية ذات المناجل القاطعة بين صفوفهم بسرعة الصواعق حتى قتل معظمهم وبدّد شمل الباقين · فاتخذ تلك الحادثة وتراً يضرب عليه في جميع اناشيد الفخار المنقوشة على ما شيده من اثار جليلة في طول البلاد وعرضها · وضرب على ذلك الوتر عينه الشاعر المصري « پنتأور » في روايته الشعرية التي ترجمها « المسيو دي روجه » (Rogé) الى الفرنساوية ولم يترجمها الى العربية احد بعد

اما العبرانيون — اليهود — فانهم دعوا « رامسيس » بالظالم لارهاقهم على يديه بالمظالم · ويظهر انهم لم يخطئوا التسمية : لان الآثار التي تركها هذا الفرعون تنبئ يقيناً بمجهودات ساحقة كمجهودات عصر الاهرام تضع المخيلة

البشرية تحت وطأة حلم مريع وتجعلها تتساءل بفزع : كم وكم من الايدي البشرية تعد بمئات الالوف اشتغلت في اقامة هذه المشيدات ؟ ولا يبعد ان يكون اصحاب بدعة «امن هوطب الرابع» قد ثاروا عليه في اخريات ايامه ·

اما نحن فانا نخال في « رامسيس الثاني » مثالاً قديماً للويس الرابع عشر الفرنساوي حتى في ذات ميول هذا الملك الملقب بالشمس الى الجنس اللطيف · وفي الحقيقة فان دار الحريم في عهد «رامسيس» اتخذت اتساعاً غير معهود في عهد اسلافه · وولد له من نسائه العديدات نيف ومائة وسبعون ولداً في الخمسة والسبعين عاماً التي ملكها · وبلغ من تغطرسه وظنه الالوهية في نفسه انه اقدم على التزوج باحدى بناته وهو ما لم يكن يجوز عند المصريين وان كانوا قد اجازوا تزوج الاخ من الاخت ·

فلما مات رامسيس الثاني ترك دولة تشبه الدولة التي تركها فيليب الاسباني سنة ١٥٩٨ م او الدولة التي تركها لويس الرابع عشر سنة ١٧١٥ · الاول بعد حروبه المتعددة

مع البروتستانت الثائرين عليه من ذات رعاياه والبروتستانت الاجانب · والثاني بعد الغائه « امرنانت » واضطهاده پروتستنت بلاده واشتباكه مع اوروبا في حروبه العديدة لا سيما في الاخيرة منها ·

فكادت عصور الانحطاط تطل من الافاق بالرغم عن تمكن « منفتاح » ابنه من هزم الليبيين الذين باتفاقهم مع ثائري الداخل اوشكوا ان يقضوا على استقلال مصر · وباتت البلاد مضطرباً حبلها والعرش الفرعوني تتنازعه المطامع حتى تسنى اخيراً لرجل من نسل « رامسيس الثاني » يدعى « نخت سيتي » الاستيلاء على العرش وتسكين الحبل المضطرب وتطهير البلاد من الاجانب والثائرين واللصوص الذين كانوا قد عاثوا فيها فساداً

فاسس الاسرة العشرين التي كان « رامسيس الثالث » ابنه — وهو الذي شيد قصر (مدينة ابو) الفسيح الارجاء في « طيبة — خير ملوكها واخير الفراعنة الحربيين العظام · على ان حروبه كانت كلها دفاعية يقصد بها صد امواج

الاقوام الهمجيين المجاورين الدائمة التقدم لابتلاع الامبراطورية المصرية من جهات تخومها كافة والمنذرة اياها بقرب حلول الفناء · فكان شأن « رامسيس الثالث » في ذلك شأن الامبراطرة الرومانيين « ترايانس » و« مركس اوريليس » و« سبتيميس سيفرُس » مع الاقوام الجرمانيين والشماليين والاسيويين المتدفقين من كل حدب وصوب على الامبراطورية الرومانية في ايامها الوسطى · وشأن الدولة العثمانية الآن مع الشعوب الغربية

فان الحيثيين « الخيتاس » — خصوم الدولة المصرية الجديدة الدائمي العداء لها والناهضين ابداً من رث وذلّ انكساراتهم المتوالية وثراها ورمادها لمناوأة ومناوشة فراعنة مصر قاهريهم — رأوا بسرور لا مزيد عليه الاضطرابات الداخلية التي آلت الى خروج بني اسرائيل من مصر واغتنموا فرصتها لربط وثاق محالفة عدائية ضد مصر دخلت فيها بعض شعوب اسيا الصغرى والجزر اليونانية وشبه جزيرة (البيلبونيز) ـ المورة ـ والشعوب الليبية كلها وبعض

الشعوب الايطالية واندفع الجميع معاً على الاقاليم الخاضعة لسلطة فرعون شرقاً وغرباً وشمالاً ·

اما الليبيون فداهموا جهات مصر الغربية · وزحف الحيثيون الى سورية وتقدم اسطول البلسجيين — اليونان — مهاجماً شواطىء فلسطين المصرية : فدارت رحى الحرب براً وبحراً ونرى وقائعها العظمى منقوشة على اعمدة (مدينة ابو) في طيبة تنبئنا بان « رامسيس الثالث » نهض الى اعدائه نهضة الثور الغضوب الى الخراف : يرفس وينطح ويزعزع اركان الجبال بهجومه على كل مقاوم ·

فابتدأ بالليبيين وصدمهم على حين غرة وكانوا قد تقدموا مدمرين حتى كادوا يبلغون « بولاق الدكرور » فبددهم شذر مذر · ولاحقهم بالسيوف في الخصور لا يبقي ولا يذر حتى اوغلوا في الصحراء حيث انضم بقاياهم الى القبائل البدوية الضاربة بخيامها هناك · وبينما هم يهدئون روعهم على ظنٍ منهم انهم قد بلغوا مأمناً باغتهم الفرعون المجيد وحمل عليهم بعنف لا مزيد عليه فاسر جموعهم ومحق

سلطتهم محقاً

ثم تحول الى الشمال فحصن مصبات النيل وسواحل البحر تحصيناً شديداً وجعل عمارته على الاهبة اللازمة لدفع كل طارىء وزحف من هناك شرقاً لمصادمة الحيثيين واعوانهم الكريتيين وترو يا نيي اسيا الصغرى والطليان ٠ وكانوا قد تالبوا جمعاً واحداً واتفقوا على نقطة بالقرب من « الاسماعيلية » الحالية جعلوها ملتقى لجيوشهم وزحفوا اليها بقوة عظيمة ارتجت لوقع اقدامها الفيافي الفاصلة مصر عن سورية ٠ فاصطدم رامسيس بهم في بقعة ما بين « رفح » و« العريش » تحت اسوار حصن منيع يعرف باسم « برج رامسيس الثالث » كان اولئك الاقوام قد طوقوه بالحصار ٠ وقاتلهم قتالاً عنيفاً متفنناً لم يكن الاعداء يتوقعون شدته واساليبه فدارت الدائرة عليهم ٠ وحصد المصريون صفوفهم حصداً وسحقوهم سحقاً ٠ وبينما هم يقضون على بقيتهم الباقية اذ ظهرت عمارة البلسجيين في عرض البحار متوجهة الى الشواطىء المصرية فاسرع « رامسيس » الى اسطوله المتأهب وامر برفع مراسيه

فذهب يمخر في عرض البحار وصدم العمارة البلسجية فلاشاها وجعل اعماق اليم مثواها ٠

ثم لكي لا تأتي الى شعوب اخرى رغبة في الحمل على مصر جهز « رامسيس » قوة عسكرية ضخمة وسيرها على عمارة بحرية مهيبة الى الشواطىء العربية فغزت البلاد اليمنية وعادت منها باسلاب وفخر عظيم ٠

ولكن الانتصارات المصرية المجيدة انما كان وقعها على الاقوام التي سحقتها في حينها كوقع الانتصارات الرومانية الامبراطورية التي ذكرناها على همجيي الجرمانيين والداسيين والشعوب الشمالية فلم تكن بالضربات القاضية التي تقصم الظهور وتلاشي الوجود كفوز « ماريس » الروماني الجمهوري مثلاً على جموع « السمبر والتوتونيين » ٠ بل كانت في نهاية الامر مفضية الى اقطاع تلك الاقوام المقهورة اطيان بعض الاقاليم لتقيم فيها وتكون مستعدة لاداء الخدمة العسكرية لفراعنة مصر ٠ هكذا استقرت في الارض المصرية عدة قبائل ليبية اهمها واقواها قبيلة « المشواش » التي اعتاد الفراعنة

فيما بعد اتخاذ حرسهم الخاص منها · كما اتخذ امبراطرة الرومان حرسهم من القبائل الجرمانية والداسية واتخذ الخلفاء العباسيون حرسهم من التركمان · واتخذ « عبد الحميد » السلطان العثماني المخلوع حرسه من الاكراد ... · واقام شعب الفلسطينيين الكريتي الاصل حول غزة وعسقلان في ارض اقطعهم « رامسيس » اياها بعد ان قهرهم في الحرب البادي ذكرها · وضرب عليهم فرض الاعتراف بالسيادة المصرية عليهم · وكان الاسرائيليون ضاربين اذ ذاك في برية التيه ·

على ان هذه الانتصارات التي عظم « رامسيس » اسمه وخلد ذكره بها كادت يد الاثم والموامرة تعكر صفاءها على مصر باغتيالها صاحبها · فان « بنطاور » اخا الملك — بينما كان اخوه في ساحات الوغى يدفع عن مصر الشر والاذى — وجد تحت ما تبقى من رماد اضطرابات الاحكام السابقة بعض جمر اوقد به نار موامرة خطيرة دخل فيها عدة اشخاص من كبار ضباط القصر وجملة سراري من نساء الحريم الفرعوني واتفق الجميع على الفتك برامسيس

غيلة حين عودته وتتويج اخاه مكانه · ولا يزال لدينا مظروف اوراق هذه القضية الخطيرة الشأن : لان « رامسيس » اكتشف سر المؤامرة وسلم مدبريها الى القضاء · ولما لم يحكم القضاة على المتآمرين بالاحكام الصارمة التي كان « فرعون » يراها جديرة بجريمتهم الفظيعة حولها كلها الى احكام اعدام بامر سام اصدره وامر في الحين عينه بضرب اعناق القضاة الذين اصدروا الاحكام الخفيفة : ليتأدب بمثلهم اداريًا موظفوه المتقاة مقاليد القضاء بين الناس اليهم ·

بعد ذلك مرت سنوات حكم « رامسيس الثالث » الاخيرة في هناء وعظمة خيل للمصريين معهما ان ايام « توطمس الثالث » الجميلة قد عادت ثانية الى الشروق ·

ولكن ما خلق ورث لا يعود جديدًا ولا يصلح العطار ما افسد الدهر · لذلك تألب على العرش المصري بعد « رامسيس الثالث » عدة فراعنة اسم الجميع « رامسيس » لا يكاد التاريخ يحفظ لهم ذكرًا انقرضت بين ايديهم الضعيفة

السلطة الشاسعة الدائرة المترامية الاطراف التي كانت لمصر على اسيا والحبشة مدة قرون . فكان مثل اولئك الفراعنة في التاريخ القديم مثل ملوك العائلة الميروفنجية المتأخرين المعروفين في التاريخ الفرنساوي القديم باسم « الملوك العواطل » وكما ان رؤساء السراي في عهد هؤلاء الملوك تمكنوا على توالي الايام من اختلاس التاج والصولجان منهم هكذا تمكن رؤساء الاحبار في « طيبة » من الاستيلاء شيئاً فشيئاً على الاحكام وانتزاع مقاليدها من ايدي ملوك الاسرة العشرين المتأخرين الخاملي الذكر . ولكن القطر لم يقر على اختلاسهم هذا وقامت اسرة مصرية في الدلتا تنازعهم السلطة والسيادة وانتهى الامر بفوزها عليهم فوزاً نهائياً ونفيهم الى الحبشة ولكن فوزها هذا كان بدء تاريخ مشؤوم لمصر يشبه من جميع وجوهه تاريخها في ايام السلاطين المماليك : لان جميع الاسرات التي تعاقبت بعد ذلك على عرشها لغاية نهوض الاسرة السادسة والعشرين الصائية انما هي أسرات خرجت من احضان القبائل الاجنبية العسكرية التي قلنا ان « رامسيس

الثالث » اقطعها اطياناً في القطر المصري لاستعمارها . لا سيما من قبيلة « المشواش » البادي ذكرها والتي اضحت من العرش الفرعوني في منزلة « الحرس البريتوري » من العرش الامبراطوري الروماني والحرس التركماني من الخلافة العباسية

﴿ عهد الانحلال ﴾

في مدة حكم الاسرة العشرين كان سوري يدعى « بيباى » قد اتي الى مصر واستوطن بوبستا « الزقازيق » وربما كان هذا الرجل من القبائل الحيثية التي فلّ « راميس » الثالث جموعها ثم اذن لها بالاستيطان في مديرية الشرقية فاقامت تحرث الارض فيها وامتزجت بالقبائل الليبية التي اقطعها الملك عينه بعض الاطيان هناك . فراجت اموره فيها رواجاً كبيراً واستمر التوفيق حليف عائلته حتى تسنى لخامس احفاده المدعو « شيشنق » التزوج باميرة مصرية من الدم الفرعوني فخلف منها ولداً سماه « نمرود » اصبح عندما شبَّ وترعرع سيد قبيلة « المشواش » وحبر الدين

الاكبر · ثم خلفه ابنهُ على مقاليد الوظيفتين ورزق ابناً دعاه « شيشنق » تفاؤلاً · فصادف الفال الحسن تحقيقاً وتزوج « شيشنق » هذا ايضاً من ابنة آخر فراعنة الاسرة الواحدة والعشرين التي لم تترك في التاريخ المصري اثراً يذكر · ولما توفى ابوها خلفه ابو « شيشنق » على العرش المصري واسس الاسرة الثانية والعشرين السورية · التي كان « شيشنق » ابنه فخرها وبطلها · فانه كان معاصراً لسليمان · وكان بينهما رابطة نسب · فلما توفى سليمان اغار « شيشنق » على اليهودية والسامرة فقهر رحبعام بن سليمان وافتتح بيت المقدس عنوة وسلب جميع الكنوز التي كان سليمان قد كدسها في هيكله · ثم عاد فنقش على جدران « الكرنك » بمجمل غزوته ·

ولكن خلفائه لم يتمكنوا من المحافظة على فتوحاته · واكتفوا من الملك باقامة المباني الفاخرة في « بوبستا » و « تانيس » التي اعادوا اليها بعض بهائها · « ومنف » · فاستمر الانحلال آخذا مجراه ولم يمضي قرن على ملك اسرتهم

السورية البوبستية الا وكانت مصر قد انحدرت دركات في منحدر الخراب وتفككت عرى الاحكام رويداً رويداً — تفككها في مدة خلفاء شرلمان وخلفاء المعتصم وخلفاء سليمان القانوني — حتى آلت في نهاية الامر الى الشكل الاقطاعي الفوضوي · فافلتت ازمتها من يد الاسرة السورية البوبستية — وقضت عليها الاسرة المالكة في « تانيس » بعد موت « شيشنق الرابع » · هكذا افلتت ازمة الاحكام من ايدي الاسرة الكارولنجية الفرنساوية وآلت الى اسرة « هوج كابيت » دوق فرنسا في القرن العاشر للميلاد ·

ولكن الاسرة الثانية والعشرين التانيسية لم تحسن الادارة فانقسمت البلاد بين اكثر من عشرين اميراً استقل كل منهم بامارته وتسمى اربعة منهم « فراعنة » · واشتعلت بين الجميع حرب اهلية اضرت بمصر كثيراً ·

ثم تغلبت الاسرة الصائية على الكل وفاز « طوف نخت » اول امرائها بضم معظم مصر تحت لوائه · فاستنجد مقاومه عليه « بيبانكي ميامون » المالك على (نباتا) — وكان ينتسب

الى كهنة « امون زا » الذين نفتهم الاسرة الحادية والعشرون من مصر ٠

فزحف « بيانكي » الى مصر واخضعها بعد قتال عنيف فاعاد وحدتها من ينابيع النيل الازرق الى سواحل البحر الابيض المتوسط كما كانت حالها قبل ذلك بمائتي عام غير ان الحكم فيها كان اثيوبياً مصرياً لا مصرياً بحتاً ٠

ولكن حبل الاحكام عاد فاضطرب بين يدي « كشطا » خليفة « بيانكي » ٠ فسحب هذا الاثيوبي المصري الاصل جنوده من مصر وعادت العائلة الصائية تسعى الى الاستيلاء على الاحكام ٠ فتم لها المرام على يد « بوخنرن » بن « طوف نخت » ٠

حينئذٍ قامت سورة الغضب في رأس « شباق » بن « كشطا » وهو المعروف باسم « سبا كون » فصعد بجيش قوي الى مصر وهزم « بوخنرن » ٠ ففر الرجل من مدينة الى مدينة ومن حصن الى حصن حتى اعتصم في آخر امره بمدينة (صا) عاصمته ٠ فحاصره « سابا كون » فيها

واستولى عليها واحرق الملك الصائيَّ حياً · فكان « بوخارن » اول فرعون مصري مات شهيد الدفاع عن استقلال الوطن المقدس وحرية وجوده · فعظموه يا اولادي لا سيما انه كان رجلاً صالحاً ومشرعاً حكيماً عرفه اليونان باسم « بوكورس » واخذوا عنه كثيراً من الحكمة الموجودة في شرائعهم ·

فلما استتب الامر لساباكون نادى بنفسه فرعوناً واسس اسرة جديدة كل ملوكها من الحبشان : واظهر في احكامه ان توفيق السعد له لم يكن على غير جدارة منه · فانه قام باصلاحات جمة وجعل تشريع « بوخارن » معمولاً به · ولكنه اصغى الى توسلات ملوك اليهود المستنجدين به على ملوك اشور وكانت اشور اذ ذاك في ابان عزها وقوتها · فاقبل على مساعدتهم وحالفهم على اعدائهم · فاشهر « سرجون » او « سريوكين » الاشوري الحرب عليه وزحف الى مصر : فخرج « ساباكون » الى لقائه واصطدم الجيشان في « رفح » بالقرب من المكان الذي فلّ « رامسيس » الثالث جموع

الحيثيين فيه . ولكن « رامسيس الثالث » الفرعون العظيم كان قد مات وماتت قوة مصر العسكرية معه واندفنت في رمسه واصبح السعد الذي كان في ايامه يرافق الرايات المصرية يرفرف فوق الوية اشور . فانكسر المصريون انكسارًا عظيماً وانهزم « سباكون » وحيدًا من ساحة الوغى . ولولا ان راعياً فلسطينياً ساعده على النجاة بعمره لوقع في ايدي اعدائه اسيرًا . سنة ٧٢٢ ق . م .

هكذا علا نجم اشور على نجم مصر منذ ذلك الحين واضحت المملكة الاشورية اعظم عاهليات العالم القديم . وهكذا رأينا « پروسيا » بعد فوزها على (فرنسا) في حرب « السبع السنين » على يد « فردريكها » الاكبر . والمانيا بعد فوزها علي (فرنسا) عينها في الحرب السبعينية على يد « بسمرك » تحل من العالم المحل الذي كانت (فرنسا) تشغله من قبل .

فلو ان « ساباكون » فاز في تلك الحرب على اشور وعاد منها منتصرًا لرفعه المصريون الى مصاف كبار

فراعنتهم الفاتحين ولكن انكساره جعلهم يذكرون انه حبشي فثار معظم امراء الاقاليم المصرية عليه وطرحوا مقاليد احكامه ارضا ثم تحالفوا معاً . وتألبوا عليه . وطاردوه حتى اجلوه عن الوجه البحري والقبلي لغاية « طيبة » هنالك استقر به الهرب . ولكن الغم ما لبث ان قضى على حياته فمات تاركاً « لشباتوك » ابنه ملكاً مضعضعاً .

اما ملك اشور فانه اكتفى من مصر في هذه الدفعة بجزية سنوية ربطها عليها وناط بتحصيلها ودفعها امراء الاقاليم الذين اقرهم على الاستقلال باماراتهم . ثم قفل راجعاً الى بلاده باسلاب كثيرة .

غير ان الحرب لم تضع بعد ذلك اوزارها في الشرق مطلقاً بل استمرت سجالاً بين اشور والممالك السورية بما فيها اليهودية بفوز كاد يكون مستمراً للاشوريين . فاغتنم امراء مصر فرصتها لمحاولة رفع الجزية السنوية عن اعناقهم واتحدوا مع « تهراقة » ملك الاثيوبية وتعاهدوا على محالفة اليهود والسوريين على الاشوريين كي تتمكن قواهم المجموعة

معاً من سحق العدو العمومي المخلة قوته بكفة توازن الدول ·

فعلم « سنحاريب » بمعاهدتهم وكان اشد ملوك اشور بطشاً واكبر القواد في ساحات الوغى · فانقض كصاعقة على جموعهم وحمل عليها حملة شعواء · ولكنه ارتد بمعجزتين بدتا من « يهوا » اله اليهود ومن « پتاه » اله المصريين على قول مورخي الامتين · اما « يهوا » فانه ارسل ملكاً من لدنه اجتاز خيام المعسكر الاشوري ليلاً فقتل مائة وخمسين الفاً من جنودهم البواسل — وهذا هو ما تغنى به « بيرن » الشاعر الانكليزي في شعره المعروف باسم « اهلاك سنحاريب » · — واما « پتاه » فانه سلط على الغزاة جرزان غيط لا يحصى عددها اكلت قسيهم ونبالهم وكنائنهم · فاصبحوا لا يستطيعون قتالاً

على ان انسحاب الاشوريين لم يفد سوى « تهراقة » ملك الحبشة · فان مخالفته امراء مصر كانت قد جعلته يطلع على ضعفهم وقلة استعدادهم واوجدت في نفسه رغبة الاستيلاء على اماراتهم واعادة تكوين المملكة المصرية

الاثيوبية التي اوجدها « پيانكي ميامون » ولكنه كتم تلك الرغبة في نفسه ريثما يتمكن بمساعدتهم من سحق قوة « اشور » فيفترسهم اذ ذاك بسهولة ويعيد بعدئذٍ عصر الاسرة الثامنة عشرة الذهبي : لان اشور تكون قد تلاشت ولا يعود في العالم قوة تستطيع الثبات في وجهه ·

لذلك عندما انسحب امامه الاشوريون انقض « تهراقه » بغتة على امراء مصر · فهزم « شباتوق » بن « ساباكون » وقتله وتزوج بارملته واخضع باقي الامراء المصريين الواحد بعد الآخر فتم له بذلك شطر من حلمه الذهبي وامانيه الكبيرة وملك مدة عشرين سنة بهدوء ومجد خيل له معهما ان الدنيا حالفته وانها باسمة له ابداً ·

ولما كان « تهراقه » اثيوبياً بحتاً فان اخضاعه مصر لاحكامه يمكن اعتباره ضياعاً ثانياً للاستقلال المصري

غير ان ملوك اشور بعد انسحابهم البادي ذكره لم ينسوا ان لهم عند مصر وتهراقه ثاراً · فبينما « تهراقه » اذاً مطمئن يستمد لتحقيق الشطر الثاني من حلمه الذهبي اذ

داهمه على حين غرة « اشور اخو الدين » بن « سنحاريب » وكان بطلاً مقداماً كابيه . فهزم جنوده وثلّ عرشه والجأه الى الفرار الى الحبشة موطنه الاصلي ومملكته الموروثة ثم استولى على « منف » و « طيبة » العاصمتين العظيمتين وغنم سيف « تطميس الثالث » الراقد الى جانب صاحبه الفخيم في تراب القبر واعاد هكذا الى المصرين المذلة التي البس فراعنتهم الفاتحون الاماجد اسمالها الرثة بلاد اشور والكلدان والبابليين قبل ذلك بقرون .

هكذا بعد ان غنم نابوليون الاول سيف فردريك الثاني الاكبر ملك بروسيا من قبره في بتسدام عقب وقعتي « يينا » و « اورستدت » سنة ١٨٠٦ م . ظن انه غسل بذلك عار هزيمة « رسبك » واعاد الى بروسيا اللطمة التي لطمت « بروسيا » « فرنسا » بها في تلك المعركة الشهيرة .

ثم قسم « اشور اخو الدين » الفرعونية المصرية الى عشرين امارة مستقلة ضرب على كل منها جزية سنوية واقام « نيخأو الاول » الصائي رئيساً عاماً على امرائها :

لان نيخاو كان قد حالفه على « تهراقه » لينقذ مصر من تحت النير الحبشي · وجعل حاميات اشورية في الحصون المصرية · وقفل راجعاً الى « نينوى » عاصمته باسلاب عشرين قرن وفي نعليه نخار مصر المدوس ·

هكذا بعد ان قهر سليم الاول ذو العبسة الرهيبة المماليك في واقعة الريدانية واستولى على القاهرة وعلى القطر المصري برمته سنة ١٥١٧ م · قسمه هو ايضاً الى عدة ايالات ناط احكامها بامراء من أمراء المماليك لكي تعدم مصر وحدتها الى الابد ويسهل حكمها للحامية العثمانية التي تركها فيها تحت قيادة الباشا العثماني المعين من لدنه والياً عليها · وعاد هو ايضاً من غزوته تلك للديار المصرية باسلاب عشرة قرون ·

ولكن « تهراقه » ما لبث ان جدد قواه في بلاده وعاد الى مصر غازياً · فهزم الاشوريين في معركة دموية واستولى على « منف » بعد حصار شديد · وكان « اشور اخو الدين » اذ ذاك يحتضر · فلما مات زحف « اشور بن هبل » ابنه

الى مصر واسترد « منف » من « تهراقه » عنوة واجلاه
عن « طيبة » واعاد الحال الى ما كانت عليه · غير انه لم
يكد يستقر في « نينوى » عاصمته بعد اوبته اليها الاّ
واعاد « تهراقة » الكرة كأن الانكسار لم يكن الاّ ليزيده
قوة واقداماً · ووجد — هذه الدفعة ـ من امراء مصر العشرين
ترغيباً وتعضيداً : كأنما الحكم الاشوري قد ثقلت وطأته
عليهم · او كأنهم رأوا الاتفاق مع الاثيوبي خيراً لهم
من البقاء على ولاء الاشوري · ولكن رؤساء الحاميات
الاشورية اكتشفوا ما كان دائراً بين الطرفين من مخابرات ·
فقبضوا على الامراء وارسلوهم الى « نينوى » مكبلين بالحديد ·
على ان ذلك لم يفدهم في مقاومة « تهراقة » شيئاً · فان
هذا الاثيوبي المقدام الجسور بددّ شمل حامياتهم واغتنم
منهم « طيبة » و « منف » بالتتابع واحتفل « بمنف » بالعجل
« ابيس » احتفالاً شائقاً · يحاول بذلك اجتذاب قلوب
المصريين الدّينين اليه ·

فرأى « اشور بن هبل » اذ ذاك ان معاملة امراء

المصر بين امراه باللين والحسنى افيد عاقبة له · فاستدعى « نيخاو » الصائي وقلده حسام شرف وخلع عليه خلعة سنية واعاده الى « صاالحجر » عاصمة امارته مصحوباً بقوة اشورية عظيمة ورقى « بثامتيك » ابنه الى رئاسة ولاية « اتربي » — بنها ·

فعندما عاد « نيخاو » الى مصر كان « تهراقة » قد ارتدّ عنها الى « ناباتا » حيث وافاه القدر المحتوم بعد ان ملك ستة وعشرين عاماً على مصر ونيفاً وخمسين سنة على الاثيوبيا « الحبشة » · لذلك سهل على الاشوريين امتلاك « منف » · ولكنهم لم يجسروا على التوغل جنوباً لان « اردآمان » ابن زوجة « تهراقة » اعلن ارتقائه العرش في « طيبة » واخذ يجمع قواه ويحشد جنوده · ولم يلبث ان شن الغارة على الوجه البحري · فهزم الاشوريين وحصرهم في « منف » واستولى عليها عنوة · وكان نيخاو قد اعتصم بها فامر « أردامان » بقتله ولاز « بثامتيك » ابنه بالفرار من « اتربي » ولولا ذلك لحلّ به ما حلّ بابيه

فلما بلغت انباء هذه الامور « اشور بن هبل » استشاط غيظاً وعزم على ان ينتهي من هذه التقلبات المستديمة بضربة واحدة تكون قاضية . فجند لذلك جنداً عرمرماً وتقدم غازياً الى مصر . فسحق « اردامان » في واقعة دموية بالقرب من « بوبستا » وتعقبه بالسيف في خاصرته حتى اجلاه عن « منف » « فطيبة » فالقطر المصري برمته . حينئذٍ عاد الى « طيبة » فنهبها وسلبها وسبى اهلها واسترقهم نساءً واطفالاً ورجالاً وحمل اسلابها الى نينوى !! اسفاً ! من للعاصمة التعيسة بعيون (طوتميسها) الثالث تريان ما حلّ بها فتبدلان الذل عزاً والمسكنة منعة ! ولكن « طوتميس الثالث » كان قد رقد رقدته الابدية في قبره المكنون ولم تيقظه الويلات التي انصبت سيولها على مصره المجيدة به . التعيسة بفقده ! على ان الجيش الاشوري مرّ بالقرب من مدفن ذلك العظيم والالتفاتات تحين منه تلو الالتفاتات خشية ان ينهض الفرعون المجيد وثقل وطأة زراعه عليهم فيمحقهم محقاً

هكذا عندما بطشت الجنود الالمانية بباريس سنة

١٨٧٠ وسارت تعزف بموسيقاها بالقرب من مقام نابوليون الاول الصامت مرت بجانبه وهي تتلفت خوفاً متوقعة ان ينهض شبح القائد العظيم الراقد فيسحقها في نصرها سحقاً ·

ثم اعاد « اشور بن هبل » تقسيم البلاد المصرية الى عشرين امارة مستقلة اقر في كل منها حاميات اشورية قوية تضمن له توريد الجزية المفروضة وعاد الى بلاده تخفق رايات النصر والفخار فوقه سنة ٦٦٥ ·

ولكنه ما لبثت ان اندلعت نيران اضطرابات وحروب اهلية في داخلية اشور اضطرت ملوكها الى استدعاء تلك الحاميات · فعاد الاثيوبيون الى الطمع في الاستيلاء على مصر · وفعلاً قام « نوات ميامون » احد خلفاء « اردامان » وزحف الى طيبة · وكان الشعب المصري قد سئم حكم الامراء العشرين وبغيهم الجائر فقابل « نوات ميامون » كمخلص وساعده على الايقاع بهم واستئصال شأفتهم والاستيلاء على « منف »

ولكن اسباباً لاتزال غامضة على التاريخ اوجبت عود

الاثيوبي الى بلاده فغادر مصر وهي فوضى ٠

فرأى بثامتيك بن نيخاو ان يعود اذ ذاك الى مطامع اسرته الصائية فتآمر باقي الامراء عليه والجأوه الى الفرار واللوذ بمستنقعات البرلس ٠ وقد ذهبت الروايات الى ان السبب في قيام الامراء عليه هو ان نبوءةً مصدقة كانت قد بشرت بصيرورة احكام مصر اجمعها الى امير يقدم نبيذ تقدمته الى الالهة في يوم عيد عمومي في خوزة حديدية بدل تقديمها في الكأس الذهبية المخصصة لذلك ٠ فاتفق الامراء معاً — اتقاء لكل شر ومنافسة — الاّ يقدموا تقدماتهم الاّسوية وامروا الكهنة باعداد اثنتي عشرة كأس لهم لذلك الغرض في كل احتفال عيد عمومي — لان الامراء لم يكونوا اذ ذاك سوى اثنى عشر — فجروا على ذلك مدة حتى تنوسيت النبوءة وحدث في ذات عيدٍ ان الكهنة من باب السهو لم يضعوا للامراء سوى احدى عشرة كأساً ٠ فتناول كلّ من الامراء كأسه ليقدم بها تقدمته وكان بثامتيك اخرهم ٠ فلما لم يجد كأساً ولم يشأ ان يكون سبباً في تعطيل

التقدمة مدّ يده على سهو منه — الى خوذته الحديدية وسكب النبيذ فيها وشربه .. فكأن غشاء وقع عن اعين الامراء : فتذكروا النبوءة ووجلوا من تحققها . فقاموا على الرجل وطردوه من عرش امارته . فذهب هائماً . واذا به بنبوءة اخرى تبشره باستيلائه على عرش مصر قاطبة متى رأى البحر يقذف اليه برجال من حديد . فذهب واختبأ من بحث اعدائه عليه في مستنقعات البرلس وهو لا يعتقد بحرف من النبوءة الثانية ويكاد يوقن بالهلاك قريباً . فبينما هو ذات يوم يتنقل بين قصب تلك المستنقعات اذ رأى مركباً يونانية حربية قد جنحت الى الساحل وخرج منها جنود كلهم مدرعون بالحديد . فايقن بتحقيق النبوءة واسرع اليهم فرحاً واتخذهم عضداً للفوز على اعدائه .

مهما يكن من الامر فان بثامتيك بعد ان طرده زملاؤه تسنى له فعلاً ضم جماهير من اليونانيين المحاربين ابتغاء اجر معلوم تحت لوائه . فحمل بهم على الامراء المتحدين وخذلهم . واخضعهم واحداً بعد واحد . ثم تزوج اميرة

مصرية من الاسرات الفرعونية القديمة واصبح ملك مصر المطلق المعترف به من اقصاها الى اقصاها سنة ٦٥١ ق · م · فاسس الاسرة الصائية · وهي السادسة والعشرين واخر الاسرات المصرية العظيمة · واخرج مصر حديثة جميلة من خرائب مصر القديمة التي اخلقت القرون ثيابها وضم اليها جانب سورية الذي عاصمته «غزة»

ولكنه ادخل اليونان بكثرة في بلاده اعترافاً منه بالجميل لتلك الامة التي مكنته اولادها من الاستيلاء على العرش الفرعوني ولظنه ان عنصرهم الشاب بدخوله في جسم مصر الهرم يكسبه نشاطاً وحياة جديدة · فلم يصدق ظنه وكانت النتيجة وبالاً لان اليونانيين اعجبوا بمصر واحبوها وارادوا الانتساب اليها · ولكن المصريين لم يعتبروا اليونانيين الا امة نجسة يعار عليهم ان يخالطوها لمخالفة دين اليونان لدينهم · هكذا يأبى مصريو اليوم على الشرقيين الموجودين في بلادهم والراغبين الاندماج في سلك جنسيتهم قبولهم منهم بمثابة الجزء من الكل الا اذا كانوا على دين اغلبيتهم

فلما رأى مصريو « بثامتيك » ميله الى اولئك الاجانب عزم مائتان وار بعون الفاً من اكثرهم تمسكاً بالتراث القديم وغيرة على الجمود الدهري على الرحيل الى الجنوب حيث طقوس العبادة القديمة كانت لا تزال بدون شائبة . يقيمها في ناباتا كهنة « امون » المتسلسلون عن احباره الذين نفتهم الاسرة الحادية والعشرون من « طيبة » . وفعلاً رحلوا الى الحبشة وكان معظمهم من طائفة الاجناد . فاضعفوا مصر اضعافاً كبيراً حيث كانت حاجتها اليهم شديدة . وذهبوا وقووا اعداءها الجنوبيين .

فحزن « بثامتيك » عليهم حزناً كبيراً ورأى سقوط « نينوى » — التي كان قد نظرها في اوج قوتها وعزها — من غير ان يستطيع افادة مصر منه بشيء لوهنه . فزاده ذلك حسرة على حسرة وقضى عليه الغم سنة ٦١١ ق . م . فمات تاركاً العرش لابنه نيخاو الثاني

وكان نيخاو الثاني فرعوناً على شاكلة رامسيس وسيتي لم ينقصه ليضارعهما سوى ظروف موافقة وبصيرة ثاقبة .

نظم الجيش البرّى الذي تركه والده له وعزز شأنه باسلحة جديدة. ثم وجه عنايته الى البحرية . فشيد عمارة قوية ملك بها ناصيتي البحرين الابيض والاحمر وامرها بسياحة حول افريقيا . فاجتازت القلزم ونفذت الى المحيط من بوغاز باب المندب . وسارت محازية الساحل الافريقي الشرقي لغاية رأس العشم بالخير ثم دارت حول هذا الرأس وصعدت شمالاً . واستمرت محازية الساحل الغربي كله حتى اذا بلغت « عمد هركولس » — بوغاز جبل طارق — نفذت منها الى البحر الابيض وعادت الى القاء مراسيها في ميناء « بلوزيم » . فعد عملها في ذلك الحين من مدهشات الزمان . ولكنه لم ينتج نتيجة . ولم يستفد العلم منه : لان الطريق التي فتحت استمرت غير مطروقة ولان نيخاو بدلاً من النذير فيها ومد سلطان صولجانه الفرعوني على جميع السواحل الافريقية من اقصاها الى أقصاها وترك التوغل في داخليتها لخلفائه : فكان يسير مصر بذلك الى مراحل عظيمة لم يحلم فراعنة القدم بها . ابى الاّ ان يسير في طريق الفتوحات .

المصرية القديمة مقتفياً اثر من سبقه فيها من الفراعنة العظام لا سيما انه رأى من شيخوخة «نابو بلاء السور» ملك بابل الموهنة عظمه خير فرصة لاسترجاع مجد مصر العسكري ومحو عار انكساراتها السالفة امام القوات الاسيوية عنها · فحمل في سنة ٦٠٨ على اسيا وسير كتائبه القوية في طريق الفتح القديم · فحاول «يوشيا» ملك اليهود وحليف البابليين صده · ولكن نيخاو صدمه بالقرب من (مجدو Mageddo) عند حيفا، صدمة عنيفة مزقت جيشه وسقط «يوشيا» نفسه قتيلاً فيها · وسار من هنالك فاتحاً حتى بلغ الفرات · فاقام حاميات مصرية في الحصون المحيطة بذلك النهر وقفل بعدئذٍ راجعاً الى مصر وقد اخضع سوريا كلها العرشه الفرعوني

ولكن سلطته عليها لم تدم سوى ثلاث سنوات : لان ملك بابل — بعد ان فرغ من مشاغله الداخلية — ارسل ضده ابنه «نابوكودور السور» بجيش قوي عرمرم · وكان «نابوكودور السور» امهر قواد زمانه · فتقابلت القوتان — البابلية والمصرية — على شواطئ نهر الفرات بالقرب من

(قرقميش) ودارت الدائرة على المصريين كاملة · ولولا ان ملك بابل مات في الاثناء لتعقب « نابو كودور السوز » المهزومين ولزحف الى مصر · ولكنه اسرع فعقد صلحاً مع « نيخأو » وذهب الى بابل فجأة لكي لا يزاحمه على عرشها مزاحم ·

فاكتفى نيخأو بعدئذٍ بدس الدسائس على السلطة البابلية بين شعوبها الخاضعين لقوة حسامها واهاجتهم عليها لا سيما اليهود ومات في سنة ٥٩٥ وفي نفسه حسرة كبيرة لعدم تمكنه من ان يثأر لانكساره في « قرقميش »

نخلفه على العرش بثامتيك الثاني ابنه · ولكنه لم يملك الا قليلاً ومات تاركاً ازمة الامور « لواهبرا » · فاتبع هذا الفرعون سياسة نيخأو الثاني واراد مساعدة اليهود على البابليين · فكسره « نابوكودور السور » وطرده من فلسطين · ولكن الملك المصري فاز بحراً واخضع جميع الساحل الفنيقي لمصر · ثم اراد تأديب الليبيين ايضاً ففشل وثارت الجنود المصرية عليه · فارسل اليهم احد قواده المدعو

احمس ليعود بهم الى الطاعة · ولكن الجنود اغرت « احمس » وحملته على قبول قيادتهم والسير بهم لمهاجمة « واهبرا » · فقبل « احمس » ما عرضته عليه وعاد بها الى مصر · فخرج « واهبرا » اليه · فهاجمه « احمس » وهزمه واسره وعامله باكرام في بادىء امره · ولكنه ما لبث ان قتله وارتقى العرش مكانه : شأنه في جميع ذلك شأن الامير المملوك محمد بك ابي الذهب مع مولاه علي بك الكبير في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر · ثم تزوج « احمس » باميرة مصرية من دم « بثامتيك » واستقرت له الامور · فسلك مسلكاً حميداً متجنباً كل ما يجلب خطراً او شراً كأنه « لويس فيليب » زمانه مجتهداً في الخمسة والعشرين عاماً التي مرت عليه وهو قابض على صولجان مصر في ان يجدد بهجته و يبيض صفحة سمعة بلاده · لانه كان مصرياً صميماً ارتقى العرش بفضل ثورة وطنية قامت الجنود المصرية البحتة بها ضد الجنود الاجنبية المأجورة كما سبق لنا القول · على انه لم يوتر علاقاته مع اليونان بالرغم عن

ذلك . بل صادق الجميع لتوقعه معاضدة من الكل فيما لو هاجم « كيرُس » ملك الفرس الاملاك المصرية . وكان « كيرُس » قد دكّ اركان السلطنة البابلية وضمها الى مملكته الفارسية وشرع في تدويخ اقطار المعمور . ولكنه مات وخلفه « كمبيز » ولده على عرشه كما خلفه في مطامعه . فابتغى شن الغارة على مصر . ولكنه رأى ان يختلق لها سبباً يبررها . فبعث يطلب بنت « احمس » زوجة له . وهو واثق من ان « احمس » لن يجيب طلبه لبعد الشقة ولسوء اعتقاد الملأ في مولد « كمبيز » واطباعه . فارسل « احمس » له الاميرة (نيتتنا) بنت « واهبرا » بدلاً من ابنته . ولكنّ هذه الاميرة اوغرت صدر زوجها عليه وحملته على الانتقام لها من قاتل ابيها . فاخذ « كمبيز » يحشد الجنود ليزحف بهم على مصر حتى اذا تكامل عددهم وجهزت عددُهم شن غارته المنوية . ولكنه لم يبلغ بجيشه التخوم المصرية الاّ ووافاه نبأ موت « احمس » وانتقال العرش الى بثامتيك الثالث ابنه . وخروج هذا الفرعون

بجنوده لصد تيار الفاتحين · وبلغه في الوقت عينه ما شدد عزائمه ووطد فيه رغبة الفتح · وهو ان قلوب الاجناد المصرية قد ملأها اليأس · وان قلوب الرعية المصرية نفسها قد اعتراها انكسار وكآبة كانها تتوقع سوء المنقلب · او كأنها تشعر بدنوّ يوم رهيب: يوم فاجعة نهائية ·

واذ كان « كمبيز » عالمًا بالاحترام الذي يحيط المصريون به القطط والكلاب لما كان لهذه الحيوانات من المنزلة الدينية في انفسهم امر بوضع صف منها وفير العدد في مقدمة جيشه لكي يحجم المصريون عند رؤيتها عن رمي نبالهم لئلاً يصيبوا تلك الحيوانات بشر · وتم له ما تمنى فانه عندما اصطدم الجيشان بالقرب من « پلوزيم » — شرق الاسماعيلية الحديثة — اعترت الجيش المصري رهبة شديدة لدى رؤيته صف القطط والكلاب السائر في مقدمة الجيش العدو · فاحجم عن القتال وانكسر كسرة ساحقة بالرغم عن البسالة الفائقة التي ابداها المساعدون اليونانيون · وكأن بثامتيك الثالث قد افقدته تلك الكسرة رشده · فغاب

عن ذهنه امكانه ايقاف الاعداء بسهولة عند حدود الترع المتشعبة في جميع ارض الوجه البحري ومقاومة تقدمهم مقاومة فائزة . فلم يلوِ لجواده العنان الا عند ابواب « منفيس » كأنه « احمد عرابي باشا » بعد واقعة التل الكبير .

نجد « كمبيز » في السير وراءه حتى كاد يدخل العاصمة معه وحاصره فيها حصاراً عنيفاً لم يرَ بثامتيك معه بداً من التسليم . فسلم قاهره سيفه وتلا اسرَه خضوع مصر العليا برمتها لسلطة فارس سنة ٥٢٥ او سنة ٥٢٣ ق . م .

هكذا انهار بناء الدولة المصرية وخرَّ صريعاً بعد ان ملأت تلك الدولة العالم القديم بسمعتها وبدوي بطشها .

هكذا سقطت مصر سقطة الموت ورثاها المعاصرون رثاءً مراً لانها كانت جديرة بنصيب اجمل .

اما بثامتيك التعيس الحظ فانه بعد ما ان اشبع اهانات قتل شرَّ قتلة — لان كمبيز — وكان قد رغب في اعادة الملك اليه على شرط ان يكون تابعاً له — اكتشف انه يتآمر عليه او تجنى عليه بذلك ليتسنى له الفتك به —

شأن السياسة المكيرة — وبعد ذلك جعل مصر ولاية فارسية واقام واليًا فارسيًا عليها ٠

ثم اجتهد في اجتذاب قلوب المصريين اليه واكتساب محبتهم: فتخلق باخلاق الفراعنة وتدرب على اسرار الكهنوت المصري واعلن رغبته في اتخاذ «منفيس» عاصمة للملكة المترامي الاطراف ٠ فلما ظن انه قضى وطره من هذه الوجهة اتخذ مصر قاعدة حربية لغزو افريقيا باسرها واخضاعها ٠ فسير حملة على «قرطاجة» في الغرب وحملة على الحبشة في الجنوب في آن واحدٍ ٠ ولكنه فشل في الحملتين معاً: لان ادلائه المصريين اضلوه فابتلعت الرمال جيوشه فعاد الى «منفيس» والغيظ يوقد فى قلبه اتونًا من نارٍ فوجد اهل العاصمة في جزل وطرب لمصادفة وقوع عيد ابيس العظيم عندهم في ذلك اليوم ٠ فظن «كمبيز» انهم انما هم مبتهجون بخيبته وبهلاك جيوشه ٠ فنكل بهم تنكيلاً فظيعاً نفر قلوب المصريين عنه قاطبة ٠

ولكن «دارا» الاول خليفته استرد مودتها بحسن

معاملته الشعب وكهنته وباظهاره الاحترام لابطال التاريخ المصري . فيروى عنه انه عندما زار هيكل الشمس في مدينة «أون» او «اورا» — وهي (هليوبولس) الحديثة — ورأى تمثال «سيزوستريس» مقاماً فيها طلب الى الكهنة تنصيب تمثاله هو ايضاً بجانب تمثال البطل المصري . فاجابه الكهنة : ان «دارا» لم يبلغ بعد شأو سيزوستريس . فليبلغه اولاً ونحن نقيم له التمثال الذي يرغبه : فقال دارا : «صدقتم» وانصرف من هناك خاشعاً بعد ان اغدق عليهم عطاياه .

غير ان حب الاستقلال كان اقوى في نفوس المصريين من شعور معرفة الجميل . فحملهم على الانتقاض على «دارا» والمناداة «بخباش» من نسل البثامتيكيين ملكاً عليهم . فكرّ «خشيرشا» — كزرسيس — خليفة «دارا» عليهم واعادهم الى نير عبوديته . ولكنهم بعد موته وسقوط الدولة الفارسية في فوضى داخلية عادوا ونزعوا الى الثورة اجابة لدعوة احد احفاد بثامتيك المدعو «ايناروس» . وكان هذا الامير رجلاً فطناً . فادرك ان لا قبل له وحده بمقاومة

الفرس · فبعث يطلب مساعدة من اليونان · فساعدوه ومكنوه من الفوز برهة · ولكن بعض اتباعه خانوه وسلموه الى الفرس ، فصلبوه · واخلدت البلاد الى السكينة مدة ·

غير ان الدلتا ما لبث ان عاد الى الانتقاض ولما مات « دارا الثاني » سنة ٤٠٤ ق · م · عمت الثورة البلاد كلها · وكان الامير « امرتس » رئيسها · فاسس الاسرة الثامنة والعشرين التي لم تدم سوى ست سنوات وبادت · فخلفتها الاسرة التاسعة والعشرون ومؤسسها « ناي واو رود » المعروف عند اليونان باسم « نيفوريتس » · فلم يقم منها سوى ملكين وهما « ناي واو رود » الذي مدّ حكمه على مصر برمتها واعاد بعض الرونق اليها · وابنه « هاكوري » الذي اهتم بتحصين مصر اهتمام الوزير الفرنساوي « تييرس » بتحصين باريس في عهد لويس فيليب عندما كادت مسألة محمد علي باشا مع السلطان محمود توقد نار حرب اوروبية عمومية · وذلك لتوقع « هاكوري » هجوم الفرس عليها ثانية لاستعبادها ·

وخلفت هذه الاسرة العديمة النسل الاسرة الثلاثون السمنودية وموسسها « نخت هورحب » او « نكتانابو » · ولكن ابنه « طاخو » لم يحسن التصرف في الامور عندما خلف اباه فثار عليه احد الولاة المدعو نختانابو واختلس الحكم منه · فوقعت مصر في حرب اهلية كانت في اشد الغنى عنها · فاغتنم « أوخس » ملك الفرس فرصتها السانحة لاعادة الهجوم على مصر · وغزاها بجيش مؤلف من ثلثمائه وخمسين الف مقاتل · فزعر نختانابو وخاف ملاقاته ففر الى الحبشة بجميع كنوزه واخضع « اوخس » مصر بكل سهولة لصولجانه الفارسي اخضاعاً نهائياً لم تعد مصر بعده الى استرداد ذاتها واسترجاع استقلالها لغاية يومنا هذا · وذلك في سنة ٣٤٥ ق · م · وهي اشأم سنة اتت على مصر في تاريخها الطويل

فان الفتح المكدوني تلا بعد ذلك الفتح الفارسي · فعقبه الفتح اليوناني · فالفتح الروماني · فالفتح العربي · فالفتح التركماني · فالفتح الفاطمي · فالفتح الكردي · فالاستيلاء

المملوكي · فالفتح التركي العثماني · فالاحتلال الفرنساوي منذ قرن وبضع سنوات · فالاستيلاء المكدوني العلوي · فالاحتلال الانكليزي الحالي

فكأن اذاً آخر صفحة كتبت في تاريخ مصر الحقيقية سوِدَت سطورها يوم ان سقط « نختنابو الثاني » آخر فراعنتها وأله « أوخس » حماراً في معبد « بثاه » الاله المصري وذبح فيه الاله « ابيس » واكله في وليمة مع اصدقائه كأني به يقول للمصريين : « ان حياتكم القومية قد انتهت الى الابد اذ حلّ حمارٌ محلّ الحكم وحلّ الحكم في بطني ! » او كانّ بالنخب الذي شربه في تلك الوليمة وهو « على آخرة مصر » هو الصوت الذي اخترق العصور واتى وحط على شفاه « كشيسكو » البطل البولوني المدافع عن استقلال وطنه فدوى في اوروبا بالكلمتين اللاتينيتين Finis Poloniae ! — لقد انتهت بولونيا — اللتين فاه بهما ذلك البطل وهو يجندل جريحاً فوق جثث رفاقه المتكدسة تحت الحراب الروسية في مدينة فرسوفيا المفتوحة عنوة سنة ١٧٩٥ م ·

جدول اهم الحوادث المعاصرة

« للتاريخ المصري القديم »

س ق م٠

من سنة ٨٠٠٠ الى سنة ٦٥٠٠

حكم الالهة في مصر على حسب رواية (مانتون) المؤرخ المصري وفي بلاد الكلدان حكم خلفاء كزيسترس الذي في عهده وقعت حادثة الطوفان على حسب رواية (بيروز) المؤرخ الكلداني

من سنة ٦٥٠٠ الى سنة ٥٠٠٠

حكم اشباه الالهة على حسب رواية مانتون عينه ٠ واشباه الالهة ابطال خرافيون ٠ ومن المؤرخين من يضع في هذه الفترة عهد السلطنة القديمة اي الاسرات الست الاولى

من سنة ٥٠٠٠ الى سنة ٤٧٧٧

فوضى · وبعضهم يظن ان هذه الفترة ملأتها حرب دفاعية صدت فيها هجمات اجنبية · واخرون يظنون ان الهجمات لم تصد وان شعبا اسيوي الاصل بقيادة (منيس) زعيمه اغتصب الارض المصرية من اهلها الاصليين ثم امتزج بهم وبعضهم يجعل اواخر ملوك الاسرة الثالثة واوائل ملوك الاسرة الرابعة يعيشون في هـذا الزمن · فيقولون اذا ان هذا العصر انما هو عصر بناء الاهرام

من سنة ٤٧٧٧ الى سنة ٤٥١٤

ملك الاسرة الاولى اسرة « منيس » على حسب رواية الاستاذ پتري الذي نتبع تأريخه من الان فصاعداً · ومصر في هذا العصر هي الدولة الوحيدة في العالم باسره التي لها تاريخ · واما باقي العالم ففي ظلام ما عدا ما يرويه الكلدانيون والبرهمانيون والصينيون من الخرافات عن بلادهم · والاسرة الاولى انجبت ثمانية ملوك

من سنة ٤٥١٤ الى سنة ٤٢١٢

ملك الاسرة المصرية الثانية والتاريخ لا يزال محصوراً كله في مصر · وهذه الاسرة انجبت عشرة ملوك

من سنة ٤٢١٢ الى سنة ٣٩٩٨

ملك الاسرة الثالثة في مصر · وخلق آدم في الجنة سنة ٤٠٠٤ على حسب رواية التوراة · والاسرة الثالثة انجبت تسعة ملوك

من سنة ٣٩٩٨ الى سنة ٣٧٢١

ملك الاسرة المصرية الرابعة وبلوغ الدولة القديمة المصرية اعلى زروات مجدها ورقيها — وهذه الاسرة انجبت سبعة ملوك · وهذا هو عصر طرد آدم من الجنة واستمرار ملك خلفاً كزيستررس في بلاد الكلدان

من سنة ٣٧٢١ الى سنة ٣٥٠٣

ملك الاسرة الخامسة المصرية وقد انجبت تسعة ملوك وهذا هو عصر قتل قابيل هابيل اخاه ومولد شيت ثالث اولاد آدم ومولد كنعان اكبر اولاد قابيل

من سنة ٣٥٠٣ الى سنة ٣٣٣٥

ملك الاسرة المصرية السادسة التي آخرها الملكة نيتوكريس . وعصر استمرار خلفاء كزيسترس في بلاد الكلدان

من سنة ٣٣٣٥ الى سنة ٣٠٠٥

ملك الاسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة وعصر الفوضى الذي تلاها والتي انتهت في عرف بعضهم بفتح اجنبي — موت ادم سنة ٣٢٧٤ على حسب رواية التوراة

من سنة ٣٠٠٥ الى سنة ٢٩٦٥

عصر مجهول الحوادث

من سنة ٢٩٦٥ الى سنة ٢٧٧٨

ملك الاسرة الحادية عشرة . اسرة منتوهوتب التي أنجبت خمسة ملوك . وعصر انتقال « شيث » وهو « ادريس القرآن الشريف » الى السماء حياً

من سنة ٢٧٧٨ الى سنة ٢٥٦٥

ملك الاسرة الثانية عشرة وهي خير الاسرات التي ملكت على مصر . وعصرها بعد عصر الاسعاد وقد انجبت

ثمانية ملوك . وحوالي آخرها ولد « نوح » عليه السلام

من سنة ٢٥٦٥ الى سنة ٢١١٢

ملك الاسرة الثالثة عشرة وانجبت ستين ملكاً . وعصر الطوفان في عهد « نوح » عليه السلام وقيام « نمرود » في بلاد الكلدان واختراع البوصلة في الصين سنة ٢٠٠٠ على قول بعضهم وقيام اسرة « يأو » فيها وهي اول اسرة صينية وملكت من سنة ٢٢٠٠ الى سنة ١٧٦٦

من سنة ٢١١٢ الى سنة ١٩٩٨

ملك الاسرة الرابعة عشرة . وفيها سبب الاختلاف الذي قام في التاريخ المصري . فبينما بعضهم وهم الذين يخصصون لها هذه المدة الوجيزة وهي ماية واربع عشرة سنة يقولون انه لا يعرف عنها شيء محقق نرى غيرهم وهم الذين يصعدون بحوادث التاريخ المصري القديم الى سنة ٦٥٠٠ ق . م . يقولون ان هذه الاسرة ملكت اربعماية واربع وثمانين سنة وانجبت خمسة وسبعين ملكاً . وهذا العصر عصر « طارح » ابي « ابراهيم » عليه السلام حسب

رواية التوراة

سنة ٢٠٠٠

الفتح الهكسوسي واوج ايام «نمرود» على قول التوراة من سنة ١٩٩٨ الى سنة ١٧٣٨

ملك الاسرة الخامسة عشرة وهي الهكسوسية الاولى التي آخرها «اسيس» الذي في عهده اتى ابراهيم مصر · وفي هذه الايام عاش ابراهيم ولوط واسحق واسماعيل والعيس ويعقوب وفتح «قدور لاغامر» ملك عيلام سوريا وفلسطين واسس «اناكس» الفينيقي مملكة أرجوس سنة ١٩٨٦ وسبرطون حفيده مدينة سبرطا سنة ١٨٨٠

في سنة ١٧٣٨ ومن سنة ١٧٣٨ الى سنة ١٥٦٢

ملك الاسرة السادسة عشرة وهي الهكسوسية الثانية التي في ايامها بيع يوسف «عليه السلام» في مصر ثم تولى ادارتها واتاها يعقوب اسرائيل واولاده : وفي هذه السنة عينها قامت الاسرة السابعة عشرة المصرية في طيبة بمصر العليا واخذت تبدو سيادة «صيداء» في فينيقيا · وتأسست

الدولتان الفريجية والليدية في اسيا الصغرى . واسس « كدمس » الفينيقي مدينة طيبة و« سكربس » المصري مدينة اثينا وأُقيمت التشييدات المعروفة باسم التشييدات السكاوبية في اليونان . وهجم « الهلينيون » على هذه البلاد واستوطنوا فيها واستولى « داناوس » الامير المصري الهارب من وجه الهكسوس على عرش « ارغوس » . وأُوجد الاتحاد المعروف باسم الاتحاد الامفكسيوني نسبة الى « امفكسيون » اهم الملوك الذين عقدوه وهو اتحاد شبيه « بحلف الفضول » المكي في صبوة النبي « صلعم »

وفي هذه الايام قام « سريوقين القديم » ملك « اجانة » في شمال بلاد الكلدان واستولى على عموم هذه البلاد وقصة طفوليته تشبه قصة طفولية موسى « عليه السلام » وكيرس وروملس . وقام بعد خليفتين له « حمور اجاس » وهو الذي يقول عنه بعضهم انه « حمور ابي » المشرع البابلي العظيم وحافر الترعة الملوكية الكبرى . وفي هذه الايام ايضاً اي سنة ١٧٦٦ خلعت اسرة « يأو » الصينية

الاولى بعد ان اخرجت ١٨ ملكاً للبلاد

حوالي سنة ١٧٢٥ الى سنة ١٥٨٧

ابتدأ حرب الاستقلال بمصر على عهد ابابي الهكسوسي من الاسرة الهكسوسية الثانية والسادسة عشرة المصرية · وهو المعروف باسم « الريان بن الوليد » الذي استوزر يوسف « عليه السلام » · وقد دامت هذه الحرب ما يقرب من مائة وخمسين سنة واغتنم الصيداويون فرصتها للتوسع في استعمارهم الخارجي ولانشاء مراكز تجارية لهم على عموم سواحل البحر الابيض المتوسط · وقامت في الصين في سنة ١٧٦٦ اسرة (تشنج Chang) محل اسرة يأو ·

من سنة ١٥٨٧ الى سنة ١٥٦٢

ملك « احمس الاول » الملقب بالمنقذ وهو رأس الاسرة الثامنة عشرة المجيدة وطارد الهكسوس من مصر والمؤرخون الذين يصعدون بالتأريخ المصري القديم الى أبعد من خمسة الاف عام قبل المسيح يضعون قيام احمس وابتداء ملكه في سنة ١٨٠٠ ق · م · واما الانكليز والالمان فتتفق

معظمهم على تاريخ الاستاذ (پتری Petrie) الذي اتبعناه في هذا الجدول · وفي مدة حكم «احمس» اخذ ملوك «اشور» في شمال بلاد الكلدان يسعون في التوسع جنوباً · واصل اشور مستعمرة كلدانية بابلية نزحت الى الشمال حوالي سنة ١٩٨٠ ق · م · واسست هناك دولة احاطت الخرافة مبادئها بروايات « نينس » المنسوب اليه تأسيس « نينوى » و« سميراميس » زوجته وخليفته التي نسب اليها تأسيس مدينة بابل العظيمة واحاطتها بسور تجري عليه ست عربات بازاء بعضها · ورواية « نينياس » ابنها الذي تآمر عليها واراد خلعها · وقد وضع ڤلتير الشاعر الفرنساوي رواية جميلة في هذا الموضوع

من سنة ١٥٦٢ الى سنة ١٣٢٨

ملك خلفاء « احمس » من اسرته اي الثامنة عشرة المصرية التي كانت اعظم الاسرات المصرية مجداً وانجبت عدة ملوك انقسمت مدة الحكم بينهم كالآتي : من سنة ١٥٦٢ الى سنة ١٥٤١ ملك امنوطب او أمنهيتب الاول

ابن احمس · ومن سنة ١٥٤١ الى سنة ١٥١٦ ملك طوتمس الاول ابن امنهوطب وهو المبتدئ بالفتح الاسيوي · ومن سنة ١٥١٦ الى سنة ١٥٠٣ ملك طوتمس الثاني وزوجته الملكة حاتاسو او حاتشيسبت · ومن سنة ١٥١٦ الى سنة ١٤٨١ ملك الملكة حاتاسو هذه اولاً مع اخيها وزوجها طوتمس الثاني ثم باسمها واسم اخيها طوتميس الثالث · ومن سنة ١٥٠٣ الى سنة ١٤٤٩ ملك طوتميس الثالث اكبر فراعنة المصريين مجداً واعظمهم فتوحات · فيصح تلقيبه بناپوليون مصر او اسكندرها · ومن سنة ١٤٤٩ الى سنة ١٤٢٣ ملك امنهوطب او امنهيتب الثاني · ومن سنة ١٤٢٣ الى سنة ١٤١٤ ملك طوتميس الرابع · ومن سنة ١٤١٤ الى سنة ١٣٨٣ ملك امنهوطب او امنهيتب الثالث صياد الاسود · ومن سنة ١٣٨٣ الى سنة ١٣٦٥ ملك امنهوطب او امنهيتب الرابع الذي تسمى فيما بعد « اخناطون » وكان اول من نادى باصلاح في الدين · ومن سنة ١٣٦٥ الى سنة ١٣٢٨ ملك بنات اخناطون وازواجهن واخيرهم

« حورم حب » الذي ملك من سنة ١٣٢٣ الى سنة ١٣٢٨ ·

وفي مدة هذه الاسرة المجيدة انحصر تاريخ العالم برمته او كاد في تاريخ الامة المصرية التي استولت عهدئذٍ على الجنوب لغاية الخرطوم تقريباً وعلى الشمال لغاية الفرات وعلى الشرق لغاية الخليج الفارسي بحرا وعلى الغرب لغاية « برقة » الحالية · ولكن ملوك اشور اغتنموا فرصة الحركة الدينية التي اهاجها « اخناطون » لتخليص بلادهم من ظل السيادة المصرية التي كانوا يعترفون بها ويدفعون لها جزية سنوية ولاعادة توسعهم جنوباً وحدثت مجاعات وفتن في اسيا الصغرى اجبرت كثيرين من شعوبها المتعددة الى المهاجرة نحو سواحل ايطاليا بينما كانت شعوب بلاد اليونان اخذة في التكون في وسط فوضى كثر اللصوص وقطاع الطرق فيها · فرأت المخيلة اليونانية ان تضع في هذه المدة المضطربة وجود ابطال رواياتها الميثولوجية الخرافية وهم الملقبون باشباه الالهة واكبرهم « هركولز » او « هركل » البطل الدوري صاحب الاعمال الاثنى عشر المشهورة · واشهرهم بعده الابطال

الارغونوط زملاؤه الذين رحلوا في السفينة المدعوة « ارغو » الى مقاطعة « كلشيدا » في شرق البحر الاسود للاستيلاء على الجزة الذهبية · تحت قيادة « يازون » زعيمهم · واكبر هؤلاء الابطال شهرة « تيزئوس او تيزفس » اليوني ملك اثينا وقاتل الوحش المدعو (مينوثور) الذي كان يفتك بعذارى جزيرة كريت · و « پرسئوس » او « پرسفس » ملك « ارجس » ومؤسس « ميسين » الفائز على « الجرجون » حارسات بستان « الهسبريد » في الغرب الاقصى الذي كان ينمو فيه تفاح من ذهب وقاتل احداهن واسمها « مدوزا » التي كانت اذا شخصت بعينيها الى اي مخلوق حي قلبته الى حجر · و « بلليروفون » قاتل « الكيميرا » — وهو وحش خرافي مقدمه مقدم اسد ووسط جسمه على شاكلة الماعز وعجزه عجز تنين — والفائز على « الامازون » وهن قبيلة نسائية حربية كانت تقيم في اسيا الصغرى وتقتل رجالها بعد التناسل : واخرين كثيرين غيرهم · وجعلت المخيلة اليونانية هؤلاء الابطال ينقذون الارض وينظفونها

من العائثين فيها فساداً كما انها اوجدت في هذا العصر الخرافي عينه اولاً « اسكولاب » او « اسكولابيس » اله الطب وابن « ابللس » اله الشمس . وهو الذي اعاد الحياة الى « هبوليتس » بن « ثيزفس » فصعقه « زئوس » اله الالهة لتغيظه من ان انساناً مثله يتجاسر على مشاركته في حقوق الاحياء والاماتة . فانتقم له « ابللس » ابوه بان قتل رشقاً بسهامه « السكلوب » الذين كانوا يجهزون الصواعق لزئوس . فطرد « زئوس » « ابلاس » من السماء فذهب « ابللس » واستضاف « ادميتس » ملك « فيرس » فاضافه . فكافأه « ابلاس » على ذلك بان التمس من « البركات » — انقاذه من مرض قاتل واطالة حياته — وكانت البركات ثلاث اخوات من الهات الجحيم منوطاً بهن نسج حياة البشر . فكلوتو تحضر الولادة وتمسك المغزل . ولاكيزس تديره . واتروپس تقطع الخيط . — فقبلن منه على شرط ان يموت احد عوضاً عنه فقدمت السبست زوجته الكريمة نفسها لتفتديه . وثانياً « ديدالس » الميكانيكي

الاثيني مخترع البلطة والمنشار والموازي والمثقاب وموفق القلوع على المراكب و باني « اللابيرنت » في جزيرة كريت بناء على طلب « مينوس » ملكها · ولكن « مينوس » سجنه فيه مع « ايكارس » ولده والوحش المدعو مينوتور · فاصطنع « ديدالس » اجنحة له ولابنه وهربا بواسطتها من ذلك « اللابيرنت » · ولكن « ايكارس » وهو محلق في الهواء اقترب جداً من قرص الشمس فذاب الشمع الذي كان جناحاه ممسوكين معاً بواسطته · فهوى الى البحر وغرق بقرب جزيرة دعيت « ايكارس » باسمه ·

ولما كانت مبادىء التاريخ اليوناني الخرافية هذه لا تصعد الى ابعد من ايام الاسرة الثامنة عشرة المصرية حق لكهنة « آمن » في « عين شمس » ان يقولوا لهيزودتس المورخ اليوناني : « انكم انتم اليونان لستم سوى اطفالاً بالنسبة لنا نحن المصريين ! »

ومما هو جدير بالذكر في هذا المكان هو ان التاريخ اليهودي يضع حادثة موت يعقوب (ع · س) سنة ١٦٨٩

وحادثة موت يوسف (ع٠س) سنة ١٦٣٥ وحادثة مولد موسى (ع٠س) سنة ١٥٧١ ق٠م٠ اي ان الحادثين الاوليين تكونان قد وقعتا في اثناء انقاد حرب الاستقلال بين المصريين والهكسوس ٠ والحادثة الثالثة تكون قد وقعت في منتصف مدة حكم « احمس » الاول المنقذ ٠ وذلك اذا وفق بين التأريخ اليهودي وتأريخ الاستاذ « بترى » الذي اتبعناه ٠ فيكون « احمس » والحالة هذه هو الفرعون الذي امر بالقاء اولاد العبرانيين الذكور في النيل : وهو ما لم يقل به مؤرخ على الاطلاق ٠ لان عموم المؤرخين قد اتفقوا على ان غير « احمس » هو الذي يجوز ان ينسب اليه اصدار هذا الامر الفظيع وانه اذا كان لا بد من التسليم بصدوره عن احد فراعنة مصر فلا يجوز ان يكون قد صدر الاّ في عهد فراعنة الاسرة التاسعة عشرة ٠ وهذا جميعه يوجد اضطراباً غريباً في التأريخ المصري سواء عمل فيه بتأريخ الاستاذ « بترى » او بتأريخ الاجبتولوجيين الفرنساويين كماريت ومسبيرو الذين يجعلون قيام «احمس»

في سنة ١٨٠٠ ق . م كما سبق لنا القول . لان موسى (ع . س) يكون اذا اتبع هذا التأريخ قد ولد في مدة حكم « أنخ خيبرورا » زوج « مرتاتن » ابنة اخناطون الذي هو امنهوطب الرابع ويكون عمره قد بلغ المائة والثلاثين سنة لدى تولي « مرنبثاه » بن « راسيس الثاني » الذي يقال ان الخروج كان في ايامه . مع ان التوراة تقول ان عمر موسى (ع . س) كان اذ ذاك ثمانين عاماً .

من سنة ١٣٢٨ الى سنة ١٣١٩

فترة الاضطراب التي تلت انقراض الاسرة الثامنة عشرة . ومبدأ عظمة « صور » وحلولها في السيادة على فينيقيا محل « صيدا » القديمة التي اخذت تنحط تدريجياً .

من سنة ١٣١٩ الى سنة ١١٨٠

مدة حكم الاسرة التاسعة عشرة التي انجبت سبعة ملوك تنقسم مدة احكامهم هكذا : من سنة ١٣١٩ الى سنة ١٣١٦ ملك راميزس الاول » . ومن سنة ١٣١٦ الى سنة ١٢٨٩ ملك سيتي او سيتس الاول . ومن سنة ١٢٨٩ الى

سنة ١٢٢١ ملك راميزس الثاني وحده بعد ان شارك والده في الحكم سبع سنوات . ومن سنة ١٢٢١ الى سنة ١٢١٢ ملك مرنبتاه ثالث عشر اولاد راميزس الثاني . ومن سنة ١٢١٢ الى سنة ١١٨٠ ملك سيتي الثاني ومرنبتاه الثاني اوسبتاه وامميزس

في مدة هذه الاسرة هدم الفلسطينيون مدينة « صيدا » فلم تعد تنهض الى عظمتها القديمة . — « والفلسطينيون احد شعوب اسيا الصغرى الذين هاجروا فيها عقب المجاعة الكبرى التي سبق لنا ذكرها » . — وتوطدت اقدام الخيتاس او الحيثيين في بلاد سوريا على ضفاف نهر العاصي « الاورنتس القديم » في مدن قرقميش وقادش وحلب . ودخل « تكلات ادار » الاول ملك نينوى مدينة بابل حوالي سنة ١٢٧٠ واخضع عموم بلاد الكلدان وربط عليها جزية سنوية ولكن حروباً عديدة اشتعلت نارها بعد موته بين الكلدانيين والاشوريين . فتغلب « بنبالدين » الكلداني على « بلكدور السور » الاشوري خليفة « تكلات ادار »

الاول وغزا اشور عينها · فقتل « بلكدور السور » في معركة دموية وغنم خاتم « تكلات ادار » الملوكي وودعه في بابل حيث بقي ستماية عام · ولكن « ادار هبل السار » عاد فنظم اشور ودرّب الجيوش الاشورية · فتمكن من سحق « بنبالدين » تحت اسوار « الاصار » · واخذت سلطة اشور في النمو من ذلك الحين الى ان بلغت اقصاها في مدة « اسور دايان » بن « ادار هبل السار » وخليفتيه « متكل نيبو » و « اسورسيزي » وفي عهد هذا الملك هاجم « نابوكودور السور » الاول ملك بابل اشور · ولكنه انهزم وسقطت عرباته ومهماته ورايته الملوكية في ايدي الاشوريين ·

وقامت في بلاد اليونان بالتتابع الحركتان الكبيرتان اللتان ادتا : الاولى الى « حرب التبائيد » او حرب « القواد السبعة امام مدينة طيبة اليونانية » · والثانية الى « حرب ترويا » الشهيرة · والحربان وقعتا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد · اما الاولى فسببها النزاع الذي قام على العرش

بين « اتيئكلس » و « برنيس » ولدي « الملك اديب » · فانتصر « ادرست » ملك « ارجوس » لبرنيس وذهب وحاصر « طيبة » مع ستة ملوك اخرين · وكانت نتيجة هذه الحرب ان قتل القواد السبعة وقتل كل من « اتيئكلس » و « برنيس » الاخر في مبارزة فردية · فازداد بذلك خراب بيت « الملك اديب » · واديب هذا ابن « لايس » بشر المنجمون اباه « لايس » بان ابناً يولد له يقتله ثم يتزوج امرأته ويملك مكانه · فلما ولد « اديب » امر « لايس » بطرحه على قمة جبل لتفترسه الجوارح · ولكن راعياً انقذه وخبأه وسلمه لملك « كورنث » · فرباه هذا كولد له · فلما كبر « اديب » علم بالنبوءة القائلة بانه مزمع ان يقتل اباه · ولظنه ان اباه هو ملك « كورنث » ابتعد عنها قاصداً الى الشمال فقابل « لايس » في طريق ضيق وقتله وهو لا يعرفه · وكان قد ظهر اذ ذاك بالقرب من « طيبة » حيوان غريب يقال ابو الهول اخذ يعرض على الناس لغزاً مؤداه : ما هو الحيوان الذي يمشي في الصباح

على اربع ويمشي ساعة الظهر على رجلين ويمشي عند المغرب على ثلاث ؟ . ويفترس كل من لا يحل ذلك اللغز . فقطع الطريق على المارين . فاعلنت الملكة « جوكست » أم « اديب » وارملة « لايس » انها تتزوج بمن يحل اللغز ويقتل الوحش . فورد « اديب » على ابي الهول وفسر اللغز بان ذلك الحيوان هو الانسان : يدب على اربع وهو طفل ويسير على رجلين وهو يافع وشاب وكهل . ويتوكاء على عصا وهو شيخ فاضمحل ابو الهول وتلاشي وتزوجت « جوكست » باديب ابنها وهي لا تعرفه وخلفت منه الولدين السابق ذكرهما وبنتين . ثم اطلع اديب على حقيقة الحال . فاعتراه يأس شديد فسمل عينيه بيديه وخرج هائمًا على وجهه تقوده وتقوم بشوؤنه ابنته « انتيجونة » وترك عرشه لولديه يتنازعانه كما قلنا . وقد نظم شعراء اليونان لا سيما « سوفكلس » الروايات التمثيلية الفخيمة جداً عن « اديب الملك » وما جرى له كما ان الشاعر الفرنساوي « راسين » قد انشأ رواية تمثيلية على « الاخين المتعاديين » وعلى « حرب التيبائيد »

واما حرب « ترويا » فسببها البعيد هو ان اليونان ارادوا الانتقام لجدهم الفريجي « پيلبس » الذي كان قد طرد من اسيا الصغرى في عهد الاسرة الثامنة عشرة · فالتجاء الى جنوب بلاد اليونان واسس هناك اسرة دعيت تلك البلاد باسمها اي « بيلبونيز » وخلف ولدين · « اتريئس » و « ثيئستس » تعاديا فذبح « اتريئس » اولاد « ثيئستس » واطعمه لحومهم في وليمة اولمها له · فازدادت بين الرجلين العداوة · وخلف « اتريئس » ولدين : اغاممنونس « ومنيلاوس » تزوجا اختين : هيلانة وكليتمنسترة وخلف « تييستس » ولداً آخر يقال له « اجستس » شب لينتقم من بيت عمه ·

وسبب تلك الحرب القريب هو ان « باريس » أبن « بريامس » ملك ترو ينازل ضيفاً على « منلاوس » ملك اسبرطا · فاحب « هيلانة » زوجته واحبته · فاختطفها واعتصم بها في مدينته · فهب رؤساء اليونان للانتقام تحت زعامة « اغاممنونس » اخي منلاوس الذي دعي لذلك

« ملك الملوك » وعبأوا عمارة بحرية عدد سفنها (١٢٠٠) سارت بهم الى ساحل « ترويا » حيث اقاموا معسكرهم وقامت بينهم وبين اهل المدينة معارك فردية وعامة دامت عشر سنوات واتقد فيها غضب « اخيلس » بطل ابطال اليونان . وسطعت شجاعة « ديوميدس » ملك « ايتوليا » وانفة « اجاكس » التلاموني ملك سالامينا واقوى اليونان بعد « اخيلس » . ومهارة وحذق « عواص » ملك « اتاكا » وحكمة « نستور » الفصيح ورصانته . وفروسية » هكتور » بطل ابطال التروانيين . وانتهت تلك المعارك بان قتل « اخيلس » « هكتور » انتقاماً منه لقتله صديقه « باتركلس » وقتل « باريس » « اخيلس » بسهم رشقه به خلسة فاصابه في عقبه . وكانت النقطة الوحيدة التي كان يمكن ان يجرح فيها . لان امه الالهة « تيتس » كانت قد امسكته منها لما غمسته في مياه « الستكس » نهر الجحيم لتجعل جسمه لا يجرح وانتحر « اجاكوس » التلاموني لكون اليونان قضوا باسلحة « اخيلس » لعولص دونه وكان قد زاحمه

عليها · واخيراً عندما يئس اليونان من الاستيلاء على « ترويا » تظاهروا بالانسحاب عنها وتركوا على الساحل حصاناً من الخشب شاسع الاطراف بصفة تقدمة منهم للالهة « مينرف » حامية « ترويا » · فادخله الترويانيون في مدينتهم بالرغم من نصائح « لاوكوون » رئيس احبارهم · وكان قد اختبأ في ذلك الحصان « عولص » وزهرة ابطال اليونان · فخرجوا منه عندما جن الليل وفتحوا ابواب المدينة لليونان المرتدين عن البحر الى الاسوار · ففتحت « ترويا » بتلك الحيلة وذبح « بريامس » واولاده على مذابح الالهة واستيقت « هكوبا » زوجته و « اندروماكا » زوجة « هكتور » رقيقتين واحرقت المدينة سنة ١٢٠٩ فكان لهذه الحادثة تأثير عميق على الفنون والاداب الشعرية اليونانية والغربية باجمعها · فنظم « هوميرس » فيها انشاده البديعة المعروفة باسمي « ايلياذه » و « أُوذيسيئا » · ونظم « اقريبذس » و « سوفوكلس » اكثر من دعجاء في بعض حوادثها الفردية ووضع « فرجيليس » شاعر اللاتين مجموعة اناشيد من اجمل

ما يتصور تدعى « الاينيدا » فيما جرى لاينيئا احد ابطال الترويانيين في تلك الحرب وجد الرومانيين على زعمهم · وانشأ « شكسبير » الشاعر الانكليزي الاكبر رواية « ترويلس وكرسيدا » التمثيلية فيها · ونظم « راسين » الشاعر الفرنساوي و « الفييري » الشاعر الايطالي عدة مأساآت في بعض حوادثها كمأساة « اندروماكا » الفرنساوية ومأساة « اورست » الايطالية الخ الخ ·

وفي السنة الاخيرة من حكم الاسرة التاسعة عشرة المصرية اي في سنة ١١٨٠ نزح الشعب الدوري من جبال بلاد اليونان الوسطى تحت قيادة « الهراقليديين — اي نسل « هركولز » الى « البلبونيز » فكانوا بلية عليه وداهية دهماء اذ انهم اعادوا اليه الهمجية واخروا حركة التمدن والرقي فيه خمسة قرون · ويذهب اجدر المؤرخين بالوثوق في رواياتهم ان شعب بني اسرائيل خرج من مصر في ايام سيتاه او منبتاه الثاني الموجود قبره في « بيبان الملوك » في الاقصر ·

من سنة ١١٨٠ الى سنة ١٠٥٠ او من سنة ١٠٥ الى سنة ٩٨٠

حكم الاسرة العشرين المصرية التي اخرجت عدة ملوك تنقسم مدة احكامهم هكذا : في سنة ١١٨٠ استتب الامر « لست نخت » مؤسس هذه الاسرة وكان طاعناً في السن . فاشرك معه في الحكم « رامزس » الثالث ابنه . فمن سنة ١١٨٠ الى سنة ١١٤٨ ملك « رامزس » الثالث اخير الفراعنة العظام . ومن سنة ١١٤٨ الى سنة ١١٣٧ ملك « رامزس » الرابع . ومن سنة ١١٣٧ الى سنة ١١٣٢ ملك « رامزس » الخامس . ومن سنة ١١٣٢ ملك « رامزس » السادس والسابع والثامن في آن واحد . ومن سنة ١١٣٢ الى سنة ١٠٥٠ ملك « رامزس » التاسع والعاشر الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الذي خلع . وبه انتهت الاسرة وقامت بعدها الاسرة الواحدة والعشرون المنقسمة بين احبار طيبة وفراعنة « تانيس » في الوجه البحري والتي دام لها الملك مضطرباً ما بين سنة ١٠٥٠ وسنة ٩٨٠ ففي هذه المدة انتشرت المستعمرات الصورية

على شواطئ افريقيا · وتقدم الفينيقيون نحو اسبانيا واتسعت تجارتهم مع الامم النازلة على البحر الابيض المتوسط الغربي · ونفذوا الى المحيط الاطلنتي · وبلغوا جزر الخالدات

واما في بحر الارخبيل وعلى سواحل اسيا الصغرى فان اليونان اخذوا يزاحمونهم مزاحمة ادت الى زوال سيادتهم · فاستعاضوا عن ذلك بان نفذوا من سواحل البحر الاحمر الى خليج عمان وبحر العرب وبلغوا اقاصي الهند · وحالف « حيرام » ملك صور سليمان (ع · س) ملك اليهود وقدم له خشب ارز لبنان اللازم لبناء هيكله في اوروشليم · وحالفه للملاحة نحو « اوفير » التي هي مقاطعة « ابهيرا » الحالية في اقليم « جوزرات » التابع لبمباي ·

وفي هذه المدة وسع « تكلات هبل السار » المعروف في التوراة باسم « تجلات فلاسار » بن « انسور سيزى » سلطة اشور فغزا حوض دجلة الاعلى لغاية « ديار بكر » وتوغل في الكردستان وجباله الوعرة وبلغ الى قلب ارمينيا ·

ثم اتجه نحو سوريا : فاجتاز الفرات ودخل فاتحاً ارض الحيثيين وتجاوز لبنان وبلغ شواطىء البحر · فارسل له « رامزس » التاسع عدة هدايا من ضمنها تماسيح وخيول بحر · بعد ذلك عاد فغزا بابل واستولى عليها · ولكن اواخر ملكه كانت تعيسة · فان « مردوخ الدين » ملك بابل طرده منها ودخل اشور وراءه · وبالرغم من ان « اسور بل كلا » بن « تكلات هبل السار » استرد شيئاً من مجد ابيه واستولى على « بغداده » — وهي بغداد الحالية — ودمر ضواحي بابل الا ان ملك « اسور رب عمر » ثاني خلفائه كان تعيساً · وانكسر هذا الملك كسرة عظيمة بالقرب من قرقميش امام السوريين المتحالفين · فاضاع عموم فتوحات « تكلات هبل السار » جده ونجت سوريا من ايدي الأشوريين سنة ١٠٥٠ ·

وفي هذه المدة عينها استقر التيه ببني اسرائيل في ارض كنعان تحت زعامة « يشوع بن نون » · ولكنهم لانقسامهم الى اثنتي عشرة قبيلة مستقلة لم تكن عندهم وحدة ·

فاستعبدوا مدة بالرغم من مجهودات بعض ابطالهم كباراق ودابورة وابيمالك ويفتاح وجدعون وشمشون . وقضاتهم كعالي وصموئيل . فاجمعوا على ان يكون لهم ملك واجبروا نبيهم صموئيل على انتخابه . فاختار شاؤول . ولكن شاؤول جنَّ بعد ان حكم مدة بجد وحزم فاختار صموئيل داوود (ع . س) مكانه سنة ١٠٥٦ ق . م واذ قتل شاؤول في معركة مع الفلسطينيين سنة ١٠٤٠ ق . م قام داوود بالامر مكانه مدة ثلاثين عام . فنقل العاصمة الى اوروشليم وقهر جميع اعداء اسرائيل ووسع حدود المملكة . فقامت بغتة بعظمة غير معهودة بين دولة اشور المائلة الى الاضمحلال في عهد « اشور رب عمر » شرقاً وشمالاً . ودولة مصر الطيبة النازلة الى الرمس في عصر اواخر ملوك الاسرة العشرين الذين كان احبار طيبة ينازعونهم العرش جنوباً . وقهرت ممالك سوريا الشمالية كلها فاستولى داوود على دمشق الشام ووضع حامية يهودية فيها . ومدَّ ظل سلطته لغاية نهر الفرات . فاصبح بذلك سيد سوريا برمتها . وترك

عرشاً موطد الدعائم لسليمان (ع ٠ س) ابنه سنة ١٠١٦ الذي بلغت المملكة اليهودية في ايامه اقصى ذرى مجدها ٠ فابتنى بعلبك في وسط صحراء سوريا وشيد في اوروشليم هيكلاً فخماً لاله اسرائيل سنة ١٠٠٠ بات له على الشعب اليهودي اعظم تأثير

وفي هذه المدة ذاتها اي في سنة ١١٢٢ خلع « ووان » امير « تشيو » اخر امبراطور صيني من اسرة تشنج وامس الاسرة الثالثة التي انجبت ٣٨ امبراطوراً وادخل في عهدها النظام النقودي الى الصين في القرن الحادي عشر ق ٠ م ٠ واما اليونان المعاصرون للاسرة العشرين المصرية فمعظم تاريخهم مجهول ٠ ولكن مهنة (القرصنة) اي اللصوصية البحرية انتشرت بينهم انتشاراً مريعاً ٠ ومما هو جدير بالذكر ان « كدرُس » ملك « اثينا » ضحى نفسه سنة ١٠٩٥ لينيل الاثينيين النصر على « الدوريين » اعدائهم ٠ وان الجمهورية تأسست في اثينا عقب قتله لعدم اعتبار الاثينيين احداً جديراً بالملك بعد « كدرُس » فكانت اول جمهورية

أُسست في الوجود

من سنة ٩٨٠ الى سنة ٧٥٠ ق · م

مدة حكم الاسرة الثانية والعشرين البوبستية التي اسسها شيشاق او شيشنق السوري · وبعض المؤرخين يعتبرونه ليبيا من قبيلة « المشواش » · ومدة حكم الاسرة الثالثة والعشرين التانيسيـة التي لم تنجب سوى ثلاثة ملوك ولم تدم الا قليـلاً · في صور حدثت ثورات دموية سنة ٩٧٦ بعد موت « باليئسترث » بن « حيرام » قتل فيها « عبد استرث » بكر اولاده وآلت الى تتويج اكبر اولاد مرضعته · فهاجر جانب من النبلاء من المدينة وانفصلت مستعمراتها عنها · ولكن ثورة اخرى قامت بعد تلك باثنتي عشرة سنة اعادت العرش الى ذويه وانتهت بارتقاء « ايتوبعال » العرش · وقد كان حبر احبار « استرتة » آلهة المدينة الكبرى وقريب وقاتل اخر ملك من ذرية « حيرام » فملك ٣٢ سنة

وفي سنة ٩٧٥ مات سليمان (ع · س) وخلفه رحبعام

ابنه · فانشقت عن حكمه عشرة من قبائل اسرائيل الاثني عشرة وكونت دولة مستقلة باسم « دولة اسرائيل » تحت سلطة « يربعام » احد الثائرين على سليمان ابيه · وبعد ذلك بخمس سنوات غزا « شيشاق » فرعون مصر اورشليم واستولى على الهيكل وكنوزه · ثم ارتد الى مصر · فدارت بين مملكة اسرائيل الجديدة ومملكة يهوذا المتكونة من قبيلتي « يهوذا وبنيامين » الباقيتين لبيت داوود حروب دموية اضعفتهما وانهكتهما · فاغتنم الفرصة « بنهادار » ملك دمشق المستقلة عن سليمان في اواخر ايامه واخذ يستعد لضم سوريا برمتها تحت سلطة صولجانه ولكن دخول الاشوريين مرة ثانية على مرسح الحوادث خيب جميع استعدادات دمشق فان اسور نازرهبل نهض بغتة بمملكة اشور بعد موت سليمان باقل من قرن وفي ما بين سنة ٨٩٠ و ٨٥٨ وسع حدود دولته في جميع الجهات بينما كان « تاكليت الاول البوبستي » مالكاً في مصر وكان ملوك اسرائيل « بعشاء » يقتل « ناداب » بن يربعام و « زمري » يقتل « علاء » بن

« بعشاء » . و« عمري » يقتل « زمري » ثم « تبني » بن « ياهورام » و يزوج « اخاب » ابنه بييزابل بنت « ايتو بعال » ملك صور . وكان النبي « الياس » يقاوم الوثنية التي ادخلتها هذه الملكة في اسرائيل ويملأ الشعب حماسة دينية بمعجزاته المتعددة . وفي سنة ٨٥٨ اخلف « شلمناسر » الثالث « اسور نازر هبل » اباه واخذ يتوسع في شمال سوريا بينما كان « بنهدار » الثاني ملك دمشق يشن الغارة على « أخاب » فيقهر اولاً وثانياً و يوخذ اسيراً في المرة الثانية . وفي سنة ٨٥٤ اجتاز « شلمناسر » الفرات وهاجم السور بين وكان « بنهادار » ملكهم قد عاد اليهم من الاسر وزحف للقاء الاشوريين بالفي عربة من ذوات المناجل وعشرة الاف راجل من جنود حماة والف مأجور مصري والف عموني ضمهم الى جيشه فبلغ عدده اثنين وستين الفاً وتسعماية راجل . وثمانية الاف ومائتين فارس واربعة الاف وثمانمائة وعشر عربات . وفئة من الهجين يبلغ عددها الفاً اتي بها اليه « جندب » الامير العربي . فقهرهم شلمناسر بالقرب

من « كركر » او « بركارو » . ثم تحول الى بلاد الكلدان وقتل ملكها واستولى على بابل فاغتنم « اخاب » انكسار « بنهادار » للاستيلاء على جانب من مملكته لا سيما ان « يهوشافاط » ملك « يهوذا » كان قد حالفه وزوج « يهورام » ابنه باتاليا ابنة اخاب . ولكن بنهادر كسر الملكين المتحالفين تحت اسوار « راموت جلعاد » وقتل « اخاب » وكاد يأسر يهوشافاط . واوشك ان يستولي على المملكتين سنة ٨٥١ لولا ان شلمناسر عاد فداهمه وسحق اجناده سنة ٨٥٠ وسنة ٨٤٦ في مدة حكم « ازركن الثاني البوبستي » . ولكنه عاد بعد كسرته وحاصر « السامرة » عاصمة اسرائيل وكاد يستولي عليها لولا انه مرض وقتله « خزعل » احد قواده . على ان شلمناسر كدر صفاء الملك على خزعل وداهمه في سنة ٨٤٣ بجيش قوي وسحقه سحقاً واستولى على جبل حوران كله . فارسل ملوك « صور » و « صيدا » و « اسرائيل » الهدايا للملك الاشوري واعترفوا به سيداً . وكان قد حدث في هذه الاثناء ان « اليسع »

تلميذ « ايليا » اقام « ياهو » ضد بيت « اخاب » . فحدثت فتنة عسكرية ادت « بياهو » الى قتل « يهورام » بن « اخاب » و « يزابل » امه وجميع امراء البيت الملوكي . والى قتل « اخازيا » ملك يهوذا وابن اخت « يهورام » وامراء بيت « يهواذا » . فما كان من « اتاليا » اخت « يهورام » وزوجة « اخازيا » الا انها قتلت جميع امراء بيت « يهوشافاط » لتنتقم لمقتل ذويها . ولم ينجُ منهم سوى « يهواش » . فان « ياهويادا » حبر الاحبار انقذه وخبأه في الهيكل . اما شلمناسر فانه بعد ان ملك خمسة وثلاثين عاماً ملكاً مجيداً اضاف فيه الى ممتلكاته « كيليكيا » و « ارمينيا » وسوريا الوسطى مات سنة ٨٢٣ اي بعد انقراض الفرع البوبستي المصري الاكبر وقيام الفرع البوبستي الاصغر في شخص « تاكليت الثاني » بعشر سنوات . فخلفه ابنه « سمسي بن » الثالث وملك من سنة ٨٢٣ الى سنة ٨١٠ وابلغ حدود مملكته لغاية ضفاف البحر القزويني الشرقية . ثم اخلفه « بنيراري الثاني »

فاخضع ملوك الكلدان لحكمه · وابلغ حدود مملكته الى الخليج الفارسي من جهة والى البحر الاحمر ومصر من جهة اخرى · فكان عصره عصر عظمة اشور الاولى المتناهية · ولكن مع شلمناسر الرابع من سنة ٧٨٠ الى سنة ٧٧٠ وخلفائه لغاية « اسوز نيراري » سنة ٧٤٥ عادت سلطة اشور الى التضاؤل والضعف بحيث ان المؤرخين اليونانيين ومن جرى مجراهم رأوا ان يضعوا في هذا العصر رواية « سردناپال » اخر ملوك اشور الاولى الذي كان يعيش في وسط بيت حريمه عيشة نسائية · منغمساً في الملذات ومرتدياً ملابس امرأة · فثار عليه « ارباكس » الميدي و « بليزيس » البابلي وحاصراه في « نينوى » عاصمته سنتين وفي الثالثة طغى نهر الدجلة على المدينة فهدم اسوارها · فرأى « سردناپال » الاّ يقع في ايدي اعدائه · فاحرق قصره بكنوزه ونسائه ومات هو في الاحتراق · وضرب الثائرون نينوى

في هذه المدة اثار « يهو يادا » حبر الاحبار اليهودي الاجناد على « اتاليا » وقتلها على عتبة الهيكل هي وكهنتها ؛

« وهذا هو موضوع مأساة « اتاليا » التشخيصية التي وضعها « راسين » الشاعر الفرنساوي وتعد اجمل « مأساته » ·
وزحف « خزعل » ملك دمشق على « ياهو » واذله وقتل الكهنة « يهواش » ملك يهوذا في سريره · فخلفه « اماسيا » ولكن « يهواش » ملك اسرائيل كسره واسره ودخل اورشليم وسلبها · واستولى يربعام الثاني ابنه على دمشق وعلى « حماة » وملك اربعين سنة بسلام وهدوء · ولكن « زكريا » ابنه قتله « شلوم » بعد ارتقائه العرش بستة اشهر وقتل « شلوم » غينه بعد ان ارتكب اثمه بشهر ·

وفي سنة ٩٢٦ ولد « ليكرجس » مشرع سبرطا · وفي سنة ٩٢٥ غرق « تيبرينس » ملك اللاتين في ايطاليا في نهر « ألبلا » فدعي النهر « نهر التبر » باسمه · وفي سنة ٩٠٩ طار ذكر « هوميرس » امير الشعراء و « هزيودس » الشاعر اللاهوتي في الافاق · وكلاهما يوناني · وفي سنة ٨٩٨ مات « بوليدكتس » ملك سبرطا وخلفه ليكرجس لحين ان ولدت ارملة اخيه ولداً فدعاه كاريلاوس ثم اضطرته

عداوة ام الولد و « وليونيدس » اخيها الى الابتعاد · فرحل عن سبرطا وغاب مدة عشر سنوات · وفي هذا الزمان ملك « بجماليو ن » على صور على حسب قول « يوسفس » المؤرخ اليهودي فهاجرت « ديدو ن » اخته منها الى افريقيا حيث وسعت و كبرت مدينة « قرطاجه » التي كان الصوريون قد اسسوها هناك في سنة ١٢٥٧

وفي سنة ٨٨٨ عاد ليكرجس الى سبرطا بناء على رغبة مواطنيه · فوضع لهم الشرائع المعروفة باسمه والتي كانت ترمي الى تحسين اخلاق اهل بلده وجعلهم يتغلبون على معظم اهوائهم وتكوين امة عسكرية قوية منهم وبعد ان جعلهم يقسمون على العمل بتلك الشرائع لحين عودته رحل عن « سبرطا » ولم يعد لها واوصى بان تلقى عظامه في البحر · فدامت شريعته معمولاً بها في اسبرطا يتربى أولاد الاحرار بمقتضاها معاً مهما اختلفت حالهم الاجتماعية ويدربون على الاحتمال والصبر على الآلام · والرصانة ورشاقة الحركات · وكراهة المال : وحوالي هذا الزمن

عينه او بعده بقليل تأسست مملكة مكدونيا على يدي « كاراتس » من نسل « هركيولز » . وغزا التتر ونهبوا عدة اقاليم من اقاليم الصين . فادى ذلك الى اضطراب حبل الاحكام بين يدي اسرة « ووونج » ونزوع حكام الاقاليم الى الثورة والاستقلال والعمل في الاحكام على شاكلة النظام الاقطاعي الذي قام في اوروبا في القرن العاشر (ب . م) وفي سنة ٧٧٨ وضعت الالعاب الالمبية وبات عودها كل اربع سنوات نقطة تاريخ ثابتة للحوادث اليونانية والعالمية . وفي سنة ٧٧٤ خلع « اموليس » واخاه « نوميتور » الذي كان مالكاً على مدينة « ألبالنجا » في ايطاليا . وفي سنة ٧٧٢ وُلد « روملس وريمس » حفيدا « نوميتور » من « ريثيا سلفيا » ابنته التي كان « اموليس » عمها قد جعلها « فستالة » اي كاهنة ناذرة بتوليتها لالهة « فستا » لكي لا تخلف . فذهب مؤرخو روما الاولون الى انها حملت من « مارس » اله الحرب وفي سنة ٧٦٠ اقام « تيثوبمبس » خمسة موظفين عظام في « سبرطا » دعيوا « ايفور » وجعل

اختصاصهم مراقبة سير الملوك والمشيخة والمحافظة على مصالح الشعب . وفي سنة ٧٥٤ جعلت مدة تقلد وظيفة « الارخنتية » في اثينا عشر سنوات بعد ان كانت دائمية . و « الارخنتية » هي الوظيفة الانتخابية التي اوجدها الاثنيون مكان وظيفة « الملكية » بعد موت « كدرس » كما سبق القول . وفي هذه الاونة كان « طف نخت » السائي يسعى و يقاتل لتحويل دفة الاحكام في مصر الى اسرته الصائية

وفي سنة ٧٥٣ على حساب « فرون » المؤرخ اللاتيني اسس « روموس » و « ريمس » مدينة روما . وفي سنة ٧٥٠ سبيت « الصابينيات » في وسط الالعاب الرياضية التي استدعي « روملس » ملك روما الشعوب المجاورة لحضورها لكي يتسنى له وللصوص والافاقين رفاقه اختطاف ازواج لهم . وفي السنة عينها اي سنة ٧٥٠ استولى پيانكي مايامون الاثيوبي على مصر برمتها واسس فيها الاسرة الخامسة والعشرين الاثيوبية .

من سنة ٧٥٠ الى سنة ٦٦٦

حكم الاسرة الخامسة والعشرين الاثيوبية الحبشية في مصر وقد اخرجت الملوك الآتي ذكرهم: من سنة ٧٥٠ الى سنة ٧٣٥ پيانكي ميامون . ومن سنة ٧٣٥ الى سنة ٧٢٥ كشطا زوج ابنة پيانكي ميامون . والذي في مدته عاد « بوخارن » بن « طف نخت » الصائي الى احياء مطامع اسرته . ومن سنة ٧٢٥ الى سنة ٧١٦ شباك « سابا كون » بن كشطا وهو الذي احرق « بوخارن » في « صا » عاصمته . ومن سنة ٧١٦ الى سنة ٧١٤ ثورة داخلية وانتقاض على « شاباكه » ادّى الى عودة الامور الى الاسرة الصائية في الوجه البحري . ومن سنة ٧١٤ الى سنة ٦٩٣ شاباتاكه او « شاباتوك » بن « شباك » ومن سنة ٦٩٣ الى سنة ٦٦٦ « تهراقه » الحبشي .

ففي سنة ٧٤٥ قامت ثورة في « نينوى » و « كالخ » أدت بحبل الاحكام الى يدي « تكلات هبل السار » الثاني او « تجلات فالازار » وكان من طراز كبار الفاتحين .

فاعاد اخضاع بلاد الكادان الى العرش النينوي ثم اجتاز نهر الزاب الى سوريا سنة ٧٤٤ فهرع اليه عموم الملوك التابعين له ومنهم ملوك صور وقرقميس و كوماچين والسامرة ودمشق وفي سنة ٧٤٢ فتح حماة عنوة وسبى اهلها الى اشور وما بين سنة ٧٣٨ وسنة ٧٣٥ اخضع ارمينيا و بلاد الميديين وتقدم لغاية حوض نهر الهندس — السند — . وفي هذا الزمن اتم « عزاريا او عزّيا » بن اماسيا اليهودي اخضاع ادوم واستولى على ثغر (الات)على البحر القلزم . ولكنه اصيب بمرض البرص فاشرك معه في الملك « يوثام » ابنه وعادت مملكة يهوذا الى شيء من سؤددها القديم . بينما كانت مملكة اسرائيل تنحدر متدهورة في دركات الانحطاط في عهد « يربعام الثاني » و « مناحم » . و « پكاحيا » ابنه الذي مات مقتولاً بيد « پيكاح » احد قواده الذي اخلفه على العرش واضطر الى الاعتراف بسيادة « رتسين » ملك سوريا عليه . والانضمام اليه في غزو مملكة اليهود . وكان العرش فيها قد آل الى « اخاذ » الشاب . فكسراه مرتين متتابعتين وضيق

اليهود الى دمشق حيث بيعوا ارقاء في اسواقها افواجاً افواجاً ٠
واغتصب « رتسين » منهم ثغر الات فاستنجد « اخاذ » ملك
اشور عليهما باموال كثيرة ٠ فاسرع « تكلات هبل السار »
وانقض على اسرائيل ودمره وسبى معظم شعبه الى اشور
وحاصر « پيكاح » في السامرة ٠ فخاف باقي ملوك سوريا
وهرب « هنون » ملك غزة — وكان عدوُ اخاذ — الى مصر
سنة ٧٣٤ ٠ ثم تحول « تكلات هبل السار » الى « رتسين »
ملك دمشق واخذ عاصمته وقتله حرباً سنة ٧٣٢ وحول
مملكته الى اقليم اشوري وسبى شعبه الى اشور ٠ حينئذٍ
هرع الى معسكر « تكلات هبل السار » خمسة وعشرون
ملكاً من اتباعه ومنهم « اخاذ » ملك اليهود وقدموا له
فروض التعظيم والولاء مما يذكر بناپوليون الاول في درسدن
سنة ١٨١٢ م ٠ وفي سنة ٧٢٩ قتل هوشيا او « هوشاع »
« پيكاح » وقام على العرش مكانه وثار « موطون » الثاني
ملك صور على السلطة الاشورية ٠ فتداخل « تكلات
هبل السار » في الامر ودفع « هوشيا » له عشر وزنات من

الذهب والف وزنة من الفضة . وفي سنة ٧٢٧ مات « تكلات هبل السار » في حضن مجده . فثارت سوريا باسرها . ولكن شلمناسر الخامس اسرع اليها فاخلدت الى السكينة ودفعت ممالكها الجزية له عن يد وهي صاغرة . على ان « هوشيا » ارسل في السر الى « شاباك » او سابا كون يطلب منه محالفته على الاشوريين . ولكن سره افشي وعلم شلمناسر به . فارسل يستدعي الاسرائيلي اليه وطرحه في سجن عميق وزحف بجيشه الى ارض اسرائيل وشدد الحصار على السامرة عاصمتها . غير ان صور انتقضت في هذه الاثناء فترك شلمناسر قوة عسكرية امام السامرة وذهب بنفسه الى فينيقيا . وحاصر مدينة صور متعشماً ان انقطاع الماء عنها يضطرها الى التسليم . فدام الحصار سنتين ومات شلمناسر بدون عقب ولم يستول لا على السامرة ولا على صور . فقام بالامر بين الاشوريين بعده « سرجون » احد كبار ضباطه ونسيب البيت الملوكي المنقرض . واستولى على السامرة عنوة وسبى شعبها الى كالخ والى ضفاف نهر « الخابور »

فنزح باقي سكان المملكة الى الافاق وانقرضت على هذا الشكل دولة اسرائيل سنة ٧٢١ واما دولة يهوذا فكانت احكامها في يد حزقيا المتخذ اشعياء النبي وزيراً له · فسارت بروية ولم تعاد اشور · بينما كان باقي سوريا يحالف شاباك المصري عليها ويخر صريعاً تحت ضربات سريوقين قبل وبعد واقعة « رفح » سنة ٧١٦ التي تحول سريوقين بعدها الى الشرق ووطد سلطته على معظمه فانه ان لم يتمكن من الاستيلاء على صور واكتفى منها بالطاعة الاسمية اغتصب بابل من ملوكها ودخل فائزاً منصوراً في سنة ٧١٠ · ثم مات مقتولاً في قصره المعروف باسم « دور سور ياقين » — خور سباد الحالية — سنة ٧٠٤ · فاخلفه سنحاريب ابنه وكان ملكه كملك ابيه مملوءًا حروباً وفتوحات مجيدة · اعطي مملكة « لوليا » الصيداوي الى ايتوبعال الثاني الصوري بعد ان استولى على صور سنة ٧٠٠ وقبض على ملك عسقلان وارسله الى نينوى مكبلاً بالحديد وقهر امراء الدلتا بالقرب من الطاكو في اليهودية ثم زحف الى مملكة حزقيا وترك

ارضها قاعاً بلقعاً بعد ان سبي منها نيفاً و٢٠٠ الف نفس والزم حزقيا على ان يدفع له ٣٠٠ وزنة فضة و٣٠ وزنة ذهباً ولكن الطاعون تفشى في جيشه فباده · ولم يعد منه مع سنحاريب الى نينوى سوى القليل · ثم انشغل سنحاريب عن اليهود ومصر بعد ذلك بحروبه في الشرق التي انتهت بدخوله بابل منصوراً واحراقه اياها ولكنه استحضر من فينيقيا عدداً عظيماً من صناع السفن وابتنى لنفسه عمارة ضخمة اخضعت له البحر الفارسي · ثم مات مقتولاً قتله ابناه سنة ٦٨١ وهو اكبر ملوك اشور مجداً واكثرهم تشييدات · فاخلفه ابنه « اشور اخو الدين » وهو المعروف باسم « اسار هدون »

حارب في فارس وارمينيا فمد ظل الاحكام الاشورية لغاية سواحل البحر الاسود وسفح القوقاز من سنة ٦٨٠ الى سنة ٦٧٦ · وحارب في سوريا حيث كان « عبد ملكوت » ملك صيدا قد انتقض على اشور · فقهره والجأه الى الفرار الى قبرص حيث ادركه واخذه اسيراً ·

ثم عاد فاجتاز بنار ودم عموم بلاد الفينيقيين وخرب صيدا وذبح كبرائها · ثم سبى باقي اهاليها الى اشور واقام مكانهم مستعمرات كلدانية وفارسية · وحارب في بلاد العرب · فاخضع شمالها لجزية سنوية ثقيلة · ونفذ الى جنوبها في جهة اليمن واسر ملوكها وقادهم الى « نينوى » · وحارب في مصر فدخلها من جهة « پلوزيم » وهزم اثيوبي « تهراقه » واستولي على منفيس وطيبة ونهبهما واقر سلطة اشور في مصر ثم اخذ يقيم التشييدات العظيمة ولكنه مرض مرضاً خطيراً فانسحب الى بابل ومات فيها سنة ٦٦٧ تاركاً ملكه « لاسور بن هبل » ابنه المعروف باسم « اسور بانيبال »

اما مملكة يهوذا فان منسى اخلف فيها حزقيا التقي اباه وعاد الى عبادة الاوثان فوبخه اشعيا النبي على ذلك فامر بوضعه داخل قرمة شجر فارغة ونشره نشراً واستمر خاضعاً لاشور بدفع الجزية لها لغاية موته سنة ٦٤٠

ومن سنة ٧٤٣ الى ٧٢٤ قامت بين سبرطا ومسينا

حروبان دمويتان وبالرغم من مقاومة المسينيين مقاومة ابطال . ومن الوطنية العجيبة التي ابداها ملكهم « ارستوديمس » وبلغت به لغاية تضحية ابنته الوحيـــدة . ومن الشجاعة الفائقة التي اظهرها ملكهم ارستوميتس المقاتل كأسد رئبال انتهت تلك الحروبان باستعباد سبرطا « مسينا » ونزوح من تبقى من اهالي هذه المدينة التعيسة الى جنوب ايطاليا حيث انشأوا مدينة رچيو في الوقت الذي أنشأت جالية اسبرطية فيه مدينة « تارنتو » وانشأت جالية كورنتية مدينة كرسيرا او « كرفو الحالية » ومن المؤرخين من يضع في هذه الفترة من التاريخ رواية « كندول » ملك ليديا الذي كان متزوجاً امرأة في غاية الجمال وكان له صديق اسمه جيجس فاحب ان يريه جمال إمرأته فجعله ان يراها خلسة وهي عريانة . فعلمت الزوجة بذلك وابت ان يكون غير زوجها قد رأى جسمها عرياناً فاوعزت الى جيجس ان يقتل كندول فتتزوجه . ففعل وفعلت

وفي سنة ٧١٦ مات روملس الذي سقطت في مدته

مملكة اسرائل وبعد سنة من موته انتخب الرومانيون « نومابمبيليس » الصابيني خليفة له فملك لغاية سنة ٦٧٣ ملكاً هادئاً وضع في مدته الشرائع الدينية والمدنية لروما وادعى ان الآلهة « اجيريا » لقنتها له . فكان حكمه السلمي معاصراً لاحكام سريوقين وسنحاريب واشوراخو الدين الحربية . ولحكي شاباكه بن شباتوك وتهراقه الاثيوبي المضطربين . ثم اخلفه في سنة ٦٧٣ تلس هستيليس الذي وقع في حكمه القتال المشهور بين الهوراس الرومانيين والكورياس الالبانيين سنة ٦٦٩

ويزعم الصينيون ان امبراطورية اليابان قد تكونت حوالي السنة التي قامت فيها الاسرة السادسة والعشرون الصائية بالاحكام في مصر اي سنة ٦٦٦

من سنة ٦٦٦ الى ٥٣٥ و٥٢٣

حكم الاسرة السادسة والعشرين الصائية التي انجبت للملوك الآتية اسماؤهم — من سنة ٦٦٦ الى ٦١٠ بثامتك الاول . ومن سنة ٦١٠ الى ٥٩٤ نيخاو الثاني . ومن

سنة ٥٩٤ الى ٥٨٩ بثامتك الثاني الذي زار « صولون » مصر في عهده · ومن سنة ٥٨٩ الى ٥٦٤ واهبرا · ومن سنة ٥٦٤ الى ٥٢٦ احمس الثاني · ومن سنة ٥٢٦ الى ٥٢٥ او ٥٢٣ بثامتك الثالث ·

ففي هذه المدة تقدمت سلطة قرطاجة الفينيقية على الساحل الافريقي الغربي وامتدت فوق جزيرة سردينيا الجنوبية وعلى الساحل الاسباني · وخلف عمون اباه منسى على عرش يهوذا سنة ٦٤٠ ولكنه قتل في السنة عينها واخلفه يوشيا في السنة الثامنة من عمره وهو الذي اعلن الكهنة في السنة الثامنة عشرة من ملكه انهم وجدوا كتاب الشريعة · و بعد ان قتل يوشيا في واقعة « ماجدو » نودي بياهواخاذ ابنه ملكاً ولكن نيخأو الثاني ملك مصر خلعه واقام الياقيم مكانه باسم « ياهو ياقيم » · فثار هـذا على « نابو كودور السور » ملك بابل وقاهر نيخأو · فحوصر في اوروشليم عاصمته ومات وهو محصور · فاخلفه ابنه يا كونيا او ياهو ياقيم الثاني · وهو الذي اضطر الى تسليم اوروشليم

لنابوكودور السور . فنفاه البابلي الى بلاد الكلدان واسترق جيشه . واقام مكانه اخر اولاد يوشيا وكان اسمه « متانيا » وعمره واحد وعشرون عاماً فسمي « صدقيا » سنة ٥٩٧ وحالف مصر على بابل . فاسرع نابوكودورالسور اليه وحاصره في اورشليم وفتحها عنوة وادرك صدقيا في هربه نحو اريحاء فذبح اولاده امامه مع جميع كبار المملكة وسمل عينيه واحرق عاصمته واستاق كل امته رقيقة الى بابل فختمت بذلك اكدار مملكة يهوذا

واما اشور فاننا نعرف كيف عامل اسور بن هبل مصر واهاليها . فسحق بعد ذلك صور وسوريا وكيلكيا . فاعترف له جيجس ملك ليديا بالسيادة عليه واستنجده على الكيميريين فامتدت سلطة اشور لغاية البحر « الاجيئي » اي بحر الارخبيل واستقرت على مملكة « العيلام » في الشرق وخضعت « شوش » عاصمتها لنينوى فاختفت بذلك اقدم مملكة شرقية من الوجود . ومات اسور بن هبل وهو اكبر ملوك زمانه . فاخلفه « اسور الديل ايلاني »

وفي عهده بدأت دولة الميديين في الظهور وهزم كياكسارس مؤسسها جيوش اشور وحاصره الملك الاشوري في عاصمته سنة ٦٣٢ ثم داهم الكيميريون بلاده ونهبوها كلها ما عدا نينوى واخيراً ثار عليه نابويكو السور البابلي وتحالف مع كياكسارس ضده . واتى الملكان معاً وحاصراه في نينوى واستوليا عليها واحرقاها بعد ان انتحر اسور الديل ايلاني في قصره حرقاً . وختمت بذلك صحف اشور سنة ٦٢٥ وقامت على انقاضها دولة الميديين والبابليين ثم دولة فارس

اما الميديون فتوسعوا في اسيا واسيا الصغرى ومات كياكسارس سنة ٥٩٦ ومملكته تمتد من صحراء ايران لغاية ضفة نهر الهاليس الشرقية . فاخلفه « اظي ضحاك » ابنه المعروف عند اليونان باسم « استياجس » وكان رجلاً سلمياً . فثار عليه كيرس بن مندانة ابنته واسره واحل الفرس محل شعبه سنة ٥٥٩ واما البابليون فان ملكهم نابوپال السور عاش خمسة عشر عاماً في هدوء تام . ولكن نيخاو الثاني المصري هاجمه في سنة ٦٠٨ . ووقعت بين

المصريين والبابليين في سنة ٦٠٥ واقعة قرقميش الساحقة. وفي هذه السنة مات نابوبال السور واخلفه نابوكودور السور الثاني وهو المعروف عند العرب باسم بختنصر والذي تقول التوراة عنه انه تحول الى ثور. فكان اعظم الملوك البابليين واحد كبار الفاتحين في العالم بامره بسحق مصريي نيخاو واليهود والصوريين والعرب « جرهم واليمن » وكان لبابل ما كان رامزس الثاني لمصر اي بناءً عظيماً. واخلفه سنة ٥٦١ « اقيل مردخ » فملك سنتين ومات مقتولاً. وتولى بعده صهره وقاتله « نرجل صار السور » ومات بعد ثلاث سنوات اي في سنة ٥٥٦ تاركاً عرشه لولدٍ له يدعى « بل لابار اسكون ». ولكن هذا الولد قتل بعد تسعة شهور واخلفه « نابوناهيد » قاتله وكان غريباً عن بيت نابوكودور السور. فملك لغاية سنة ٥٣٨ وحالف احمس الثاني المصري وقارون الليدي على كيرس الفارسي ولكن كيرس تغلب عليه واستولى على بابل التي كان يدافع عنها بل صار السور ابنه وهو « بلتصار » التوراة الذي كان النبي دانيال في ايامه

واخذ كيرس نابوناهيد اسيراً وعامله معاملة حسناء و بذلك ختمت صحيفة تاريخ الدوله البابلية

واما دوله فارس فان الذي اسسها في الحقيقة هو كيرس بن قمبوزيا او قمبيز فانه بعد فوزه على اظي ضحاك - استياجس - جمع بين الميديين والفرس وانتصر على كريزس او قارون ملك ليديا في موقعة تمبريثا وضم مملكته الى دولته سنة ٥٥٤ مع جانب كبير من اسيا الصغرى · ثم انطلق شرقاً فاخضع الخراسان والبلوخستان والافغانستان ودخل التركستان ونزل الى الهند من سنة ٥٥٤ الى ٥٣٩ ثم عاد واندفع على بلاد الكلدان واستولى على بابل ودك دولتها فسقطت بين يديه بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين وفينيقيا وصرح لليهود بالعودة الى بلادهم سنة ٥٣٦ ثم مات موتاً لا يزال سره مجهولاً فخلفه قمبيز ابنه وهو الذي استولى على مصر سنة ٥٢٣ او ٥٢٥

وفي هذه المدة عينها أُسست مدينة بيزنس وهي القسطنطينية الحالية · اسسها سنة ٦٥٧ بيزانس زعيم جالية

ميغارية يونانية . وظهر صولون وتاليس الحكيمان على مرسح العالم سنة ٦٣٩ وبرياندرس ثالثهما الذي آلت اليه الاحكام في كورنثس فدام قابضاً عليها اربعين عاماً . وفي سنة ٦٢٤ سن دراكون الاثيني قانونه الصارم لشعب اثينا وقد كان الخطيب ديماد يقول عنه انه كتب بدم لشدة قسوة احكامه . وفي هذا العصر عاش بتاكس رابع حكماء اليونان وآلت اليه الاحكام في « مثيلين » موطنه مدة عشر سنوات وعاش ايضاً بياس خامس اولئك الحكماء في بلاط « الياط » ملك ليديا وحوالي سنة ٦٠٠ اسست جالية فوسيئية من اسيا الصغرى مدينة مرسيليا في فرنسا . وفي سنة ٥٩٤ انتخب صولون أرخنتا لاثينا بعد عودته من مصر وليديا فسن لها تشريعاً جميلاً . وقد عاش في هذا الزمن ازوبس القصصي الفريجي وهو « لقمان » العرب على ما يظن بعضهم وفي سنة ٥٦٦ استولى بيزستراتس على الاحكام في اثينا فدعي ظالماً . وكان اول من جمع مؤلفات هوميرس وانشأ مكتبة عمومية واستولى فالاريس الظالم في الزمن نفسه على

« اغريجنت » في صقاليا واشتهر بغلظته وقسوته · وفي سنة ٥٦١ مثل تسبيس الاثيني اول رواية تشخيصية انشئت في العالم وفي عام ٥٥٩ مات صولون · وفي عام ٥٣٤ ظهر « كزينوفانس الكولوفوني » احد اباء الطبيعيات والفيلسوف فيثاغورس الشهير في ميدان العلوم الرياضية · وحوالي عام ٥٢٣ مات بيزستراتس وترك الاحكام في اثينا لولديه هبركس وهبياس ·

وفي هذه المدة ذاتها تقلب على عرش روما بعد « تلس هستيليس » الذي مات مصعوقاً عام ٦٤٠ اولاً « انكس مرسيس » حفيد نوما الذي ضم اللاتينيين الى الشعب الروماني وبنى استيا على مصب التبر لتكون ثغراً لروما في الرابعة عشر من ملكه · وفاز على شعب فيئا ومات عام ٦١٧ في عهد بثامتك الاول · وثانياً « تركونيس القديم » اليوناني الاصلي والمدعو تركونيس لانه كان من مدينة تركوينيا في اترو ريا اي « تسكانا » الحالية وهو الذي بنى مجارير روما واسس « الكابيتول » قلعتها واوجد مرسحاً فيها يسع ١٥٠

الف نفساً واحاط ببوا كي وقيصاريات (الفورم) الميدان العمومي · وجمله بهيا كل وقاعات للتدريس · ورتب حفلة النصر الاكبر ومات مقتولاً عام ٥٨٧ وثالثاً « سرفيس تليس » الجمهوري الذي اوجد نظام التعداد وعدل النظام الاجتماعي السياسي الانتخابي الذي كان روملس قد وضعه وجعل الثروة لا المولد اساسه · وجعل روما قلب تحالف لاتيني فزاد عدد سكانها على الثلثمائة الف وقاربت مساحتها مساحة اسكندرية الحالية ثم مات مقتولاً هو ايضاً عام ٥٣٤ فاخلفه « تركوينس المتعجرف » زوج ابنته وقاتله والذي في عهده سقطت الدولة المصرية

وفي هذا العصر اي حينما كان صولون وتاليس وبريندرس وبثاكس وبياس وانا كسيمنيس وشيلون حكماء اليونان السبعة يزينون بلادهم وبعد ان وضع دراكون قوانينه بسبع سنين اي في ذات السنة التي مات فيها « انكس مرسيس » ولد في الهند « جوتاما بوذا » اكبر استاذ ديني وصاحب الدين الذي هو اكثر الاديان اتباعاً

وفي هذا العصر عينه اي في عام ٥٥١ وبعد موت صولون بثمان سنوات ولد في الصين « كنج فوتسه » أو « كنفوشيس » الذي علم فلسفة عملية وكان له على اداب مستقبل الصين تأثير عظيم

من سنة ٥٢٥ الى ٣٤٥

حكم الاسرات الاخيرة في مصر : السابعة والعشرين والثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين والثلاثين

في هذه المدة لم يكن في الشرق كله سوى مملكة فارس العظيمة · وقد قام فيها بالامر بعد كمبيز او « قمبيز » المجنون اولاً سمرديس الكاذب الذي زعم انه اخو الملك المتوفي وابن كيرس او « كورش » ثم اكتشف غشه وقتل· وثانياً دارا الاول او « داريس المستبي » الذي اخمد ثورات الميديين والكلدانيين والعيلاميين والمصريين · وغزا الهند ما بين عام ٥١٥ و٥١٢ ثم ثراقيا الشرقية واجتاز نهر الطونة (الدانوب) عام ٥٠٨ ونفذ الى قلب بلاد الروس وفي عودته اجبر ملك مكدونيا على الاعتراف

بسيادته عليه وفي عام ٥٠٦ اخضع يونان طرابلس الغرب ولكن يونانيي اسيا الصغرى ثاروا عليه وساعدهم الاثينيون فكان ذلك سبباً للحروب التي قامت بين الفرس واليونان ٠ وثالثاً « خشيرشا او كزرسيس » بن دارا عام ٤٨٥ وكان حكمه كله مصائب على الفرس الا في مصر الى ان قتل عام ٤٦٥ ورابعاً « ارتخشترا » او ارتكزرسيس المظنون انه احشورش التوراة وزوج استير اليهودية الذي مات في عام ٤٢٥ وخامساً خشيرشا او كزرسيس الثاني ابنه الذي قتل بعد خمسة واربعين يوماً ٠ وسادساً سجديانس اخوه وقاتله والذي قتل هو نفسه بعد ستة اشهر ونصف ٠ وسابعاً اوخس بن ارتخشترا غير الشرعي الذي تسمى بدارا الثاني وكانت حياته كلها مصائب واثام ٠ وثامناً ارتخشترا الثاني عام ٤٠٥ الذي حاربه كيرس الشاب اخوه ومات وهو في الرابعة والتسعين من عمره عام ٣٦٢ وتاسعاً ارتخشترا الثالث الملقب اوخس وهو الذي سقطت مصر في ايامه سقطتها النهائية وملك من عام ٣٦٣ الى ٣٤٠

واما في بلاد اليونان ففي عام ٥١٦ وُلد پندارس الشاعر المنشد في طيبة · وفي عام ٥١٥ قتل هبركس بن بيزستراتس في اثينا بمؤامرة عقدها هرموديس وارستوجيتون · وفي عام ٥١١ وضع كاستينس الارخنت في اثينا قانون (الاستراسزم) وهو قانون لنفي من يثير المخاوف السياسية فكان هو اول من نفي بموجبه · وفي عام ٥١٠ طرد هيبس الظالم بن بيزستراتس من اثينا · وفي عام ٥٠٤ استعار ارستاجورس الميليثي عشرين سفينة من اثينا واثار اليونانيين في اسيا الصغرى على الفرس · واخذ سرديس عاصمتهم الاناطولية واحرقها · وفي عام ٤٩٨ سحق الفرس يونانيي اسيا الصغرى واحرقوا ميلتس اشهر مدنهم · وفي هذا العام عينه مات فيثاغورس الفيلسوف · وفي عام ٤٩١ ارسل (دارا) عمارة بحرية ضخمة وجيشاً مؤلفاً من ٥٠٠ الف مقاتل لتأديب الاثينيين · فغرق معظم العمارة وباغت شعوب ثراقه الجيش ودمروه · فارسل دارا بالرغم من ذلك يطلب من اليونان الارض والماء

وفي سنة ٤٩٠ نزل خمسمائة الف فارسي بزعامة داتس وارتفرنس قائديهم وارشاد هبياس على ساحل ماراثون بالقرب من اثينا . ونشبت بينهم وبين اثينيي ملسياد معركة قتل هبياس فيها وسحق الفرس . وفي سنة ٤٨٨ طرح الاثينيون ملسياد في سجن لخيبته في حصار جزيرة بارس فمات فيه . وفي سنة ٤٨٤ وُلد هرودتس ابو التاريخ . وفي ٤٨٠ داهم خشيرشا او كزريس بلاد اليونان بمليونين من الجنود . فقاومه ليثونيدس ملك سبرطا في مضيق الترموبيل بثلثمائة من ابطاله ولكن الخيانة ابطلت دفاعه واستولى خشيرشا على اثينا واحرقها . ولكن ثميستوكلس دمر اسطوله في مضيق سالامينا . و بوزانياس السبرطاني وارستيدس الاثيني سحقا جيشه في بلاتيئا سنة ٤٧٩ واكزنتب الاثيني وليثوتيكيد السبرطاني احرقا ما تبقى من اسطوله في ميكال في اليوم عينه . وفي سنة ٤٧٦ مات اسكيلس الشاعر ابو المأساة . وفي سنة ٤٧١ ظهرت خيانة بوزانياس السبرطاني فحكم عليه بالاعدام فالتجأ الى معبد فكانت امه اول من

اتت بحجر لتسد بابه لكي يموت جوعاً . وفي سنة ٤٦٩ فاز كيمون بن ملسياد على الفرس بحراً بالقرب من قبرص وبراً بالقرب من نهر الاوريمدون . وفي سنة ٤٦٩ وُلد سقراط الفيلسوف . وزهى كزوكسيس المصور وفي سنة ٤٦٦ خرّب زلزال سبرطا وقتل ٢٠ الف نفس فاغتنم الارقاء والمسينيون الفرصة وثاروا عليها فدارت بينهم الحرب المسينية الثالثة . وفي سنة ٤٦٥ بدأ نفوذ بركليس يظهر في اثينا . وفي سنة ٤٦٤ انتحر تمستكلس تسمماً لكي لا يجبر على حمل السلاح ضد وطنه وكان قد نفي منه والتجأ الى ارتخشترا . وفي سنة ٤٥٥ انهت سبرطا الحرب المسينية الثالثة التي دامت عشر سنوات وفي سنة ٤٤٢ تلا هرودتس تاريخه في الالعاب الالمبية وفي سنة ٤٤٩ اجبر كيمون ارتخشترا ملك الفرس على عقد الصلح المعروف باسم (الصلح الكيموني) والذي اضطر الفارسي بموجبه الى الاعتراف باستقلال عموم مدن اسيا الصغرى اليونانية وتعهد بالاّ يقترب من ساحل البحر اليوناني مطلقاً . وفي

هذه السنة عينها استلم بركاس زمام الجمهورية الاثينية . وبدأ عصره . وفي سنة ٤٤٦ عقد بين سبرطا واثينا مهادنة جعلت مدتها ٣٠ سنة وفي سنة ٤٤١ ظهرت اسبازيا الجميلة في اثينا فالتف حولها كل متفوق ومتفوقة . وفي سنة ٤٣٩ بلغ مجــد عصر بركلس ذروتــه . وزهى الفيلسوف ديموكريتس والطبيب هبوكراتس والفلاسفــة جرجياس وزينون وبرمنيدس وسقراط وسوفكلس واقريبزس الشاعران وهرودتس المؤرخ . وفيدياس الحفار والنقاش ومات بندارس في هذه السنة وعمره ٨٦ وفي سنة ٤٣١ رفض بركلس تقديم حساب سبعة آلاف وزنــة كانت مودوعة امانة في هيكل « ذيلس » وابي شعب اثينا الاصغاء الى سفراء سبرطا . فكان هذان الامران والعظمة المتناهية التي بلغت اثينا اليها في عهد بركلس السببين في نشوب حرب البلبونيز بين الجمهوريتين اليونانيتين وهي حرب دامت ٢٧ عاماً واشتعلت في اليونان والجزر والبحار واسيا الصغرى وثراقه . وفاز فيها طوراً وانكسر طوراً كل من الفريقين

المتحاربين وفى عام ٤٣٠ ظهر طاعون في اثينا مات به بركالس عام ٤٢٩ وفي العام نفسه وُلد افلاطون العظيم . وفي عام ٤٢٠ اخذ يزدهي على مرسح العالم « السيبياد » الاثيني الذي خدم وطنه بمواهبه العظيمة واضر به بنقائصه ومات في نهاية الامر مقتولاً بدسيسة من السبرطيين . وفي عام ٤١٤ أُصيب الجيش والعمارة الاثينيان في سيراقوز من اعمال صقاليا بكارثة عسكرية بليغة دمراتهما تدميراً كلياً . وفي عام ٤٠٤ هزم ليزاندر السبرطاني الاسطول اليوناني بالقرب من ايجس بوتامس عند بوغاز الدردانيل واتي مسرعاً وحاصر اثينا واستولى عليها بعد ستة شهور . فانتهت بذلك حرب البلبونيز وفي سنة ٤٠١ وقعت الحادثة الغريبة المعروفة في التاريخ باسم (انسحاب العشرة الاف) وفي عام ٣٩٩ مات محكوماً عليه بتجرع السم (سقراط) الذي اتفقت عموم العصور على اعتباره اعقل الفلاسفة الاقدمين . وفي عام ٣٩٧ ارتقى اجزيلاوس عرش سبرطا فشن الغارة على املاك الفرس الاسيوية وفاز على اعدائه الاسيويين في كل مكان . وفي عام ٣٩٥ تحالف

اليونان على سبرطا فافقدوها سلطان البحار · وفي عام ٣٨٧ عقد السبرطيون مع الفرس معاهدة الصلح المخزية المعروفة باسم معاهدة « انتكليدا » باسم السبرطي الذي ابرمها · وفي عام ٣٨٦ بدأت مكدونيا تتداخل في شؤون اليونان · وولد ارسطاطاليس وفي عام ٣٨١ ولد ديمستنس امير الخطباء وفي عام ٣٧٢ ظهر ابامينداس في طيبة وهو اعظم قواد اليونان واكبرهم فضيلة · وفي عام ٢٧١ سحق ابامينداس السبرطيين في واقعة « لوكترا » وغزا البلبونيز في سنة ٣٦٩ وحاصر سبرطا وفي سنة ٣٦٣ سحق ابامينداس السبرطيين مرة اخرى في مانتينيئا ومات في حضن نصره · وفي سنة ٣٥٩ ارتقى فيلبس الثاني ابو اسكندر عرش مكدونيا واخذ يسعى للاستيلاء على اليونان · وفي سنة ٣٥٦ وُلد اسكندر المكدوني العظيم واحرق ارستراتس هيكل افسس الفاخر ليشتهر · وفي سنة ٣٥٥ بدأت الحرب المدعوة بالحرب المقدسة والتي كان سببها سلب شعب الفوسيين هيكل دلفس الطائر الصيت ودامت عشر سنين وفي سنة ٣٥٣

مات موزلس ملك الكاريا في اسيا الصغرى فاقامت ارتميزا زوجته قبراً له عدّ اخفر مقام اقيم لميت واصبح اسماً علماً في اللغات الاجنبية للدلالة على كل قبر فاخر · وفي سنة ٣٤٧ مات افلاطون وعمره ٨١ عاماً

واما في صقاليا وباقي الجهات اليونانية الاخرى ففي سنة ٥٣٢ ازدهى في كروتون مليون الاتليتي الذي كان في زمانه اقوى رجل في العالم · وفي سنة ٤٧٩ اي بعد واقعة ماراثون بسنة نزل في صقاليا جيش قرطاجي عدده ثلثمائة الف مقاتل فهزمه جيلون ظالم الجزيرة · وفي سنة ٤٧٨ مات جيلون هذا واخلفه اخوه هبيرون الذي فاز على ترازيدس ظالم اغريجينت وفي سنة ٤٤٦ وضع خارندس في مدينة نوزيم في جنوب ايطاليا المعروف باسم منياجرتشيا تشريعاً استفاد الرومان منه فيما بعد · وفي سنة ٤١٦ احترقت صقاليا بنار حرب اهلية فطلب احد شعوبها مساعدة الاثينيين فادى ذلك الى حملة صقاليا المشؤومة · وفي سنة ٤٠٨ عاودت القرطاجيين مطامعهم في صقاليا

فارسلوا اليها جيشاً خرّب مدينتي سلينت وهيمر · ولكن هرموكرات السيراقوزي اوقف تقدمهم فازدادت همة القرطاجيين ومقاومة السيراقوزيين وانتهى الامر فى عام ٤٠٥ بان قائد الجيش القرطاجي قتل وتمكن ديونيسيس قائد السيراقوزيين الذي قهره وهزمه من الاستيلاء على السلطة العليا في سيراقوزا فاشتهر بظلمه وقسوته · وفي عام ٣٩٦ عاد القرطاجيون الى صقاليا وحاصروا سيراقوزا فتخلى الصقاليون عن ديونيسيس فقهره القرطاجيون بحراً ولكن اهل سيراقوزا ابوا الامتثال للاحكام الاجنبية فدمروا الاسطول القرطاجي · وفي عام ٣٩٥ عاود القرطاجيون الكرة فهزمهم ديونيسيس فاضطروا الى عقد محالفة معه في عام ٣٩٣ وفي عام ٣٨٩ غزا ديونيسيس جنوب ايطاليا واستولى على رجيو · وفي عام ٣٨٦ باع ديونيسيس افلاطون بصفة رقيق وكان قد استدعاه الى بلاطه فاغاظته منه حرية لسانه · ولكن جميع فلاسفة العصر جمعوا فيما بينهم مالاً كافياً وانقذوه · وفي عام ٣٨٤ غزا ديونيسيس

الابيرس وحارب السبرطيين والقرطاجيين فنهب الهيكل ليقوم بمصروفات حروبه · ولكنه انهزم في عام ٣٨٣ وقتل اخوه في الهزيمة · وفي عام ٣٦٧ مات ديونيسيس وعمره ٦٣ بعاقبة اغراق في الاكل والشرب اقدم عليه لسروره بان رواية نظم ابياتها فازت بالجائزة في الالعاب الاولمبية فاخلفه ديونيسيس الشاب واحتاط بجمع من الفلاسفة المملقين · وفي عام ٣٥٧ كثرت مظالمه فكرهه الملأ وطرده « ديون » صهره بالرغم من كثرة جيوشه ومراكبه فانهزم الى ايطاليا · ولكن « ديون » مات بعد ذلك مقتولاً ضحية احزاب بلده فرجعت الاحكام الى اسرة ديونيسيس في شخص هبارينس اخيه · وفي عام ٣٤٧ رجعت الى ديونيسيس عينه

واما في روما فان حكم تركوينس المتعجرف اتعب النفوس وازهق الارواح وانتهي بكارثة ذهبت به فان ابنه سكستس اهان شرف امرأة رومانية نبيلة تدعى « لكريسيا » فقتلت نفسها واوجب ذلك قيام ثورة اهلية

جرفت عرش تركونيس فطرد هو واسرته من روما وأقيمت الجمهورية على انقاض الملكية المهدومة سنة ٥١٠ وهي السنة عينها التي استولى دارا الاول فيها على بابل وطرد هيباس من اثينا . وفي سنة ٥٠٩ بلغت الصرامة الجمهورية الوطنية ببروتس المنتقم لشرف « لكريسيا » الى حد انه حكم بالاعدام على ولديه الاثنين ونفذ فيهما الحكم لاشتراكهما في مؤامرة غرضها اعادة الحكم الملكي الى روما . وفي سنة ٥٠٨ عمل تعداد في روما اظهر وجود ١٣٠ الف يافع فيها قادرين على حمل السلاح . وفي السنة عينها انتصر برسنا ملك كلوزيم في اتروريا لتركوينيس وزحف لقتال الرومانيين فابدوا من الفروسية والاقدام ما جعل القرون تترنم باسم « هوراس ككليس » الذي اوقف وهو وحده جيش الاعداء على مدخل الكبري المقام على نهر التبر و « موسيس سيفولا » الذي اندس في معسكر برسنا رغبة في قتله . فقتل بدلاً عنه غلطاً كاتم اسراره فاحرق ذراعة انتقاماً منه لارتكابه ذلك الغلط . وكانت هذه الحوادث

معاصرة لتوغل دارا بعد اجتيازه البسفور وثراقه والطونة في فلوات روسيا الشاسعة · وفي سنة ٤٩٨ انتخب اول « دكتاتور » في شخص طيطس لاترسيس · والدكتاتور كان يخول له سلطة اكبر من سلطة الملوك · وفي سنة ٤٩٦ هزم الدكتاتور بستوميس اللاتينيين وغيرهم المنضمين الى تركونيس بالقرب من بحيرة رجيلس وفي سنة ٤٩٣ قام اول نزاع بين العامة والنبلاء ادى الى انسحاب الشعب اعتصاباً الى الجبل المقدس · فهدأ « مينيس اجريبا » غضبه بقصه عليه حكاية الاعضاء التي اعتصبت على البطن فضعفت واضعفته · فعاد الشعب الى المدينة وقد نال ان يُدافع نواب منه دعيوا « تريبونيين » عن مصالحه وذلك في نفس السنة التي عين تمستكلس فيها ارخنتا في اثينا · وفي سنة ٤٩٢ هاجم الزومان مدينة كوريولي وكان اول من تسلق اسوارها نبيل يقال له كايس مرسيس فلقب « بكريولانس » تعظيماً له · ولكن الشعب نقم عليه في السنة التالية اي في سنة ٤٩١ لانفته وكبريائه وتحامله على

الشعب فنفاه. فالتجأ الى ذات شعب الفلسكي الذي كانت كوريولي عاصمته . وفي سنة ٤٨٨ زحف كريولانس على رأس الفلسكيين الى روما وحاصرها ثم ارتد عنها بناء على طلب والدته بينما كان ملسياد في جهة اخرى من العالم يخيب في حصاره جزيرة بارس . وقد نظم شكسبير شاعر شعراء انجلترا رواية تمثيلية بديعة في حادثة كريولانس هذه وفي سنة ٤٨٥ قام النزاع ثانية بين العامة والنبلاء في روما بسبب القانون المقول له (اجراري) القاضي بتوزيع اطيان الشعوب المقهورة بين الرومانيين ومحالفيهم وادى ذلك النزاع الى القاء سبوريس كسيس زعيم الحركة من اعلى قمة الصخرة التربيئية فمات وهو من النبلاء شهيد حبه للشعب . وفي سنة ٤٨١ اشتعلت الحرب بين روما وفيئا وفي سنة ٤٧٦ قامت الاسرة الفابية الرومانية باعباء الحرب مع الفيئيين ولكنها سقطت في كمين وبادت كلها الا واحد غير ان القنصل سرفيليس بيليس فاليريس انتقم لها وهزم الاعداء في السنة التالية وفاز بالنصر في روما . وفي

سنة ٤٧١ قدم « فولرون » مشروع قانون · يقضي بجواز اختيار كبار الموظفين من بين العامة فقبل وعمل به في سنة ٤٧٠ اي بينما كان كيمون بن ملسيادس يقهر الفرس برًا وبحرًا بالقرب من قبرص وعند نهر الاور يمدون · وفي سنة ٤٦٣ تفشى الطاعون في روما وقام احد التريبيونيين واسمه « ترنتلس ارسا » وطلب تحسين الشرائع الرومانية وكتابتها وفي سنة ٤٦١ استولى صابيني يُقال له « ايس هردونيس » على قلعـة الكابيتول باربعة آلاف رجل فدارت هناك معركة قتل فيها القنصل فاليريس · ولكن هردونيس قهر ففضل الانتحار على وقوعه حيًا في ايدي حزب الاشراف · وفي سنة ٤٥٨ عادت الحرب بين الرومانيين والاكويين والصابينيين فانتخب لها « سنسناتس » دكتاتورًا فقهرهم في ظرف ستة عشر يومًا · ثم عاد الى اشغال مزرعته التي كانت عبارة عن خمسة قراريط · وفي سنة ٤٥٤ ارسل الرومانيون ثلاثة مندوبين الى اثينا للحصول على نسخة من تشريع (صولون) ولدى عودة

المندوبين بعد ثلاث سنين جُعل من ذلك التشريع اثني عشرة لوحة في عام ٤٥١ وكاف عشرة موظفون بتحريرها وتبويبها واعطيت لهم سلطة القناصل وكان بريكايس اذ ذاك في مبدأ مجده . وفي عام ٤٥٠ وقعت حادثة فرجينيا وهي العذراء التي شغف بها ايس كلاوديس زعيم الرجال العشرة واراد اغتصابها حقاً بدعوى انها امة احد اتباعه فقتلها ابوها فرجينيس واهاج قتلها الشعب فاسقط حكومة الرجال العشرة وطرح ابيس في السجن حيث انتحر جوعاً وفي سنة ٤٤٥ وضع التريبون « كانوليئس » قانوناً اباح التزاوج بين النبلاء والعامة وكان قبل ذلك محظوراً . وفي سنة ٤٤٠ حطت على روما مجاعة شديدة اجبرت الكثيرين على الانتحار غرقاً في « التبر » فاراد فارس روماني كبير الثروة يقال له سبوريس ميليس التقرب من الشعب بهباته فوزع عليه جانباً عظيماً من الغلال مجاناً فبات محبوباً جداً . فاوجس النبلاء خيفة وخشوا ان يؤدي حب الشعب لسبوريس الى المناداة بـه ملكاً فاعادوا

الدكتاتورية لسنسناتس فقتل سرڤيليس اهلا رئيس اركان حربه سبوريس ميليس وهو يحاول الالتجاء الى الشعب لكيلا يقوم امام الدكتاتور في مقـام الاتهام · وفي سنة ٤٣٨ انتخب مامركس اميليس دكتاتوراً ففاز على الڤيئيين وفي سنة ٤٣١ انتخب أولس بستوميس تو برتس دكتاتوراً لمحاربة الفلسكيين فحكم بالاعدام على ابنه لمحاربته الاعداء بدون استئذان بالرغم من فوزه عليهم · وبينما كانت حرب البلبونيز مستمرة في بلاد اليونان كانت الحروب قائمة على ساق وقدم بين الرومان وجميع الشعوب المجاورة لهم · وفي سنة ٤١٩ قامت في روما بين الارقاء مؤامرة كادت تذهب بالمدينة لولا انها اكتشفت قبل انفجارها · وفي سنة ٤٠٣ شدد الرومان الحصار على ڤيئا عدوتهم منذ ثلاثة قرون وهذه هي السنة التي سقطت فيها اثينا في يد ليزاندر السبرطاني · وفي سنة ٣٩٦ اي بعد موت سقراط بثلاث سنوات استولى كاملس على ڤيئا عقب حصار دام عشر سنوات فذكر الرومانيين بحصار تروريا وفي سنة ٣٩٤

قام النزاع من جديد بين العامة والنبلاء بخصوص القانون الاجزاري واشار بعضهم بنقل الشعب الروماني الى فيئا المفتوحة حديثاً وفي السنة عينها كان الرومانيون يحاصرون فاليريا فخرج معلم اولاد كبار المدينة بتلاميذه بقصد النزهة وسلمهم الى كاملس القائد الروماني فاعادهم الى اهلهم سالمين فسلمت المدينة له . وفي عام ٣٩١ حاصر الغلواه مدينة كلوزيم مقر دولة برسنا القديم فاستغاث اهلها بالرومانيين . فارسل الرومانيون الى الغولوا سفراء للاستفهام ولكن احدهم قاتل مع الكلوزيين وقتل ملكاً من ملوك الغولوا فرفعوا الحصار عن كلوزيم وزحفوا الى روما بقيادة « البرن » زعيمهم وفي عام ٣٩٠ سحقوا الرومان في واقعة الاليا واستولوا على المدينة واحرقوها ولكن كاملس — وكان مواطنوه قد نفوه فطلب من الآلهة ان تجعلهم يندمون على ذلك — جمع شتات الرومان وانقض على الغولواه وهم يحاصرون الكابيتول وسحقهم سحقاً ثم اصلح ذات البين بين العامة والنبلاء وساوى بين الجميع وشيد في روما هيكلاً للآلهة الاتحاد فدعي لذلك جميعه مؤسس روما الثالث وكان سكستس لاترانس اول قنصل انتخب

من بين العامة وذلك في عام ٣٦٧ وفي عام ٣٦٥ طفى الطاعون في روما فاودى بحياة كاملس وكان عين دكتاتورا للمرة الخامسة وفي ٣٦١ اشتعلت الحرب بين الرومان والغولواه فقتل منليس غاليا وسلبه عقدة ولبسه فلقب تركواتسن · وفي سنة ٣٥٦ وهي السنة التي ولد فيها اسكندر انتخب اول دكتاتور من بين صفوف العامة وكان اسمه كايس مرسيس روتيلس · وفي عام ٣٥٠ هزم القنصل بوبيليس الغولواه هزيمة شنيعة · وفي عام ٣٤٣ اي بعد سقوط مصر النهائي بسنتين منح الكمبانون انفسهم للرومانيين لينقذوهم من « الصمنيتيين » فادى ذلك الى اشتعال الحرب بين الرومانيين والصمنيتيين وهي حرب دامت نيفاً ونصف قرن · وانتهت بوضع عموم ايطاليا الوسطى والجنوبية تحت اقدام روما ·

« انتهى الجزء الاول — من المجلد الاول »

« من تاريخ قطف الازهار في اهم حوادث الامصار »

(ويليه الجزء الثاني)

وفيه نبذة عن تقدم المعارف والعلوم البشرية في العالم بامره

في مدة التاريخ المصري القديم

Bibliotheca Alexandrina
03783399